# الكواكب الدرية

## في

# المواعظ الإيمانية

تأليف

أحمد حافظ عبد النبي

من علماء الأزهر الشريف

الطبعة الأولى ٢٠٠١

مكتبة الإيمان

المنصورة ـ أمام جامعة الأزهر

ت: ٠٥٠/٢٢٥٧٨٨٢

الطبعة الأولى

مكـتبـة الإيمـان

المنصورة أمام جامعة الأزهر

ت : ٢٢٥٧٨٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

أحمد الله تبارك وتعالي أجزل الحمد ، وأثني عليه أطيب الثنـــاء ، وأصلـي وأسلم علي سيدنا محمد الرحمة المهداة ، و النعمة المسداة ، والســـراج المنـير ، وعلي آله الطيبين ، وأصحابه الراشدين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

**وبعد**

فإن كتاب " الكواكب الدرية " يتضمن بداية الإنسان وعناية الخالق به منذ كان نطفة في بطن أمه إلى أن خرج إلى الحياة الدنيا ولم تتخل رعايــة الله عنــه ، بـل لازمته في جميع أطوار حياته طفلا وصبيا وشابا وشيخا.

وسلوك الإنسان في حياته إما سلوك يرضي عنه الله ، وإما أن يكون غــير ذلك وبناء علي هذا السلوك يتحدد مصير الإنسان في أخراه وقد وضحـت أسـباب ضعف العقيدة الإسلامية وكيفية توجيه الناس إلى طريق الاستقامة والإيمان الحقيقـي الذي يهدي إلى الرضا الإلهي والنعيم الرباني .

وهذا الكتاب يتضمن لذلك عدة موضوعات ، منها وحدانية الله ، ومن لطائف السـنة النبوية ، والإسلام عقيدة وعمل ، والإخلاص لله في العمل ومـا إلـى ذلـك مـن موضوعات أرجو الله تعالي أن ينتفع بها المسلمون وأن يكون ذلك العمل في مـيزان حسناتي اللهم آمين .

أحمد حافظ عبد النبي

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لله علي فضله ، وصلاة وسلاما علي رسله وبعد . فقد سرحت نظري فيما جاء في ( الكواكب الدرية ) وجلت بعقلي في بستانه ، فإذا هو وارف الظلال ، يانع الثمار ، داني القطوف ، وهي قطوف حلوة المذاق ، طيبة الرائحة ، جميلة المنظر ، وفيها غذاء للنفوس وقوت عظيم للقلوب ، وزاد شهي للعقول .

وإنها لجولة عقلية رائعة ، تعود بالنفع والفائدة ، وبداية هذه الجولة ذلك الإنسان ، الذي مر بمراحل مختلفة وأطوار متنوعة وهو في بطن أمه وفي ظل رعاية ربه ثم بعد خروجه إلى الدنيا من الظلمات الثلاث وهي البطن ، والمشيمة ، والرحم ، مر كذلك بمراحل أخرى في حياته ، إلى أن نما جسمه ، واكتمل عقله ، وعندئذ مارس عمله وعاش حياته .

وهناك من الناس من استنارت بصائرهم، وعرفوا ربهم، وامتلأت قلوبهم بالعقيدة الإيمانية النورانية، وقامت جوارحهم بوظائفها فيما يرضي الله ، من امتثال أوامره واجتناب نواهيه، ومن السلوك الحسن في مسيرة الحياة، وفي المقابل هناك من الناس من عميت فيهم البصائر ، وصمت آذانهم عن سماع قول الحق ، وعطلت وظائف عقولهم ، وأقفرت قلوبهم ، فلا يعرفون ربا ولا يهتدون إلى طريق الحق والنور ، وعاشوا في دنياهم دون هدف للآخرة ، وضلوا وأضلوا ، وبعدوا عن جادة الصواب ، وشتان ما بين الفريقين ﴿ فريق في الجنة وفريق في السعير﴾.

والله أسأل أن يجعلنا من فريق الجنة ويبعدنا عن نار جهنم، وأن ينتفع الناس بما فـــي ( الكواكب ) من معلومات موقظة للقلوب ، مغذية للعقول ، منيرة طريق الحياة.

حامد علي زقزوق

من علماء الأزهر الشريف

# الإنسان
# ( بدايته ونهايته )

قال الله تعالي في القرآن الكريم : ﴿ فلينظر الإنسان مم خلق (١) ﴾ إنه الأمر الإلهي بأن ينظر الإنسان إلى أصل خلقه ، ومن خلال تلك النظرة المتأنية ، سيدرك ضآلة حجمه ، ويعرف أنه قد خلق من ماء مهين ، ومادام هذا هو الأصل ، فإن من الواجب عليه أن يكون متواضعا ، بعيدا عن الكبرياء ، نائيا عن العظمة ، إذ الكبرياء لله وحده ، والعظمة له جل شأنه وليحذر الإنسان الذي هذا هو أصله ، أن يرتدي ثوب العجب والرياء . وتلك هي آيات من كتاب الله عز وجل ، تبين في جلاء ووضوح بداية الإنسان ونهايته ، حيث قال رب العزة جل شأنه :

﴿ قتل الإنسان ما أكفره ، من أي شيء خلقه ، من نطفة خلقه فقدره ، ثم السبيل يسره ، ثم أماته فأقبره ، ثم إذا شاء أنشره (٢) ﴾

تلك هي بداية الإنسان ، إنه من النطفة خلق ، وكان قبل ذلك في عالم العدم ، فهو إذا حادث ، وهو من صنع الله ، ولو نظرنا إلى النطفة التي خلق منها الإنسان لوجدنا أن الأصل التراب كما قرر ربنا في القرآن الكريم ، ثم إن النطفة تلتها أطوار أخرى ، وهي تحولها إلى علقة ، ثم إلى مضغة ، ثم إلى عظام ، ثم إلى كساء لحمي لتلك العظام ، ثم بعد هذه الأطوار صار

---

( ١ ) ــ الطارق : ٥ .

( ٢ ) ــ عبس : ١٧-٢١ .

الإنسان خلقا آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين ، مما تقدم ندرك أن الإنسان لم يخلق كاملا في البداية ، ثم إنه كان معدوما قبل أن يخلق ، وبعد أن خلق كان ضعيفا بلا قوة ، فقيرا دون غني ، ولنستعرض بعض آيات من القرآن الكريم، ومنها ستتضح صورة الإنسان، ويعرف كيف كان ؟ وكيف صار ؟ وتلك هي الآيات ، قال تعالي :

﴿ هل أتى علي الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ، إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا ، إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا (٣) ﴾ وقال سبحانه :

﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين (٤) ﴾

وهكذا نجد الآيات القرآنية توجهنا إلى المعرفة الحقيقية عن خلق الإنسان ومراحل تكوينه، وأنه قد زوده الله بأجهزة دقيقة تؤدي وظائف عالية، وتقوم بدور كبير في حياته ، فهذا بصر أنعم الله به عليه ، وذاك سمع أعطاه الله إياه وهو لاغني عنه .

---

( ٣ ) ـ الإنسان ١ ـ ٣ .

( ٤ ) ـ المؤمنون ١٢ ـ ١٤ .

إنها نعم كثيرة أكرم الله بها الإنسان ، وإنه العطاء الرباني الذي غمر الله به عباده . وتلك هي بعض النعم التي جاء بها القرآن الكريم ، وذلك في قول الله تعالي :

﴿ ألم نجعل له عينين ، ولسانا وشفتين ، وهديناه النجدين (٥) ﴾

إن الإنسان من حيث المبدأ من تراب يوطأ بالنعال ، ولهذا يجب عليه أن يتذكر هذا المبدأ ، ويتذكره بتواضع ولا يتكبر ، كما يجب عليه أن يتذكر أيضا نهايته ، وهي الموت ومغادرة الدنيا ، وتشييعه إلى القبر، والقبر إما روضة من رياض الجنة وذلك إذا كان العمل صالحا والإيمان عميقا في القلب، وإما حفرة من حفر النار وذلك إذا لم يكن إيمان ولا عمل صالح ، إن الإنسان عاجز ضعيف ، ولذلك يقهره الموت ولا يستطيع الدفاع ولا يقدر علي التخلص منه ، لأن الموت قرار إلهي مطبق علي جميع الخلق دون استثناء ، وهو يمرض ويكون حينذاك في حال يرثي لها ، ويتألم من شدة المرض وقسوته ، ثم هو مقيد آنذاك بأوامر الطبيب ، فلا يستطيع تناول شيء من الطعام إلا بتعليماته ، ولابد له من أخذ الدواء في أوقات معينة ، ثم هو يصاب بداء النسيان ، وفي ظل هذا الداء قد يريد شيئا ولكنه ينساه ، وقد يريد نسيان شيء ولكنه لا يستطيع نسيانه ، وهذا الشيء يؤرق مضجعه ، ويكدر حياته ، ويتعب نفسه ، إنه والحال هذه يعيش حياته في ظل العجز والضعف والمتاعب، ومن هنا وجب عليه أن يكون في الصورة التي يرضي عنها الله ،

---

( ٥ ) ــ البلد : ٨ – ١٠ .

وذلك بأن يتحلى بالفضائل ، ويتخلى عن الرذائل . فيا أيها الإنسان : تأمل جيدا بدايتك ونهايتك ، فأنت بحاجة ماسة إلى هذا التأمل ، لأنه نافع لك ، ومفيد كل الفائدة في دنياك وأخراك .

إنك أيها الإنسان خلقت من التراب ، وستعود بعد انتهاء أجلك إلى ما خلقت منه وهو التراب ، ثم ستبعث يوم القيامة من التراب ، واستمع معي إلى تلك الآية الكريمة التي جاء بها القرآن الكريم ، والتي تبين تلك الحقيقة في جلاء ووضوح ، وذلك في قول الله تعالى :

﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى(٦)﴾

ولنعش مع هذه الآية الكريمة لنستخلص منها العبرة . ولننظر إلى صدر الآية إنها تبين أصل وجودنا ، وتلفت أنظارنا إلى بدايتنا ، وهي – كما تري – بداية مرتبطة بالصنعة ، إذ التراب الذي هو البداية ليست له قيمة حقيقية ، حيث إننا نمشي عليه بنعالنا ، والحيوانات تسير عليه وتتبول وتتبرز فوقه ، ومادام الأمر كذلك ، كان من الضروري علي الإنسان أن تكون هذه الصورة ماثلة أمامه ، داعية له إلى تأملها ، وباعثة له علي تصورها، وما يستتبع ذلك من خفض الجناح ، ولين الجانب ، والتحلي بفضيلة التواضع وعدم التعالي ..

ووسط الآية الكريمة تقرر لنا عودتنا بعد موتنا إلى التراب ، ورجوعنا إلى المادة التي خلقنا منها ، وفوق هذا التراب تتحلل أجسامنا ،

---

(٦) – طه : ٥٥ .

وتنبعث منها روائح كريهة وتبلي أجسادنا ، وتكون في صورة رثة تتقزز منها النفوس ، هذا هو الإنسان ، وتلك هي حاله ، وذاك هو مصيره ، فيتدبر كـل ذلك ، وليكن متذكرا بدايته ونهايته ، وبهذا يستيقظ قلبه ، وتشـرق نفسـه ، ويقوي إيمانه بربه ، ويتجه في حياته إلى ما يرضي الله تعالي ، وليتمعن بعـد ذلك في ختام الآية التي معنا ، وسنجد إننا سنبعث يوم القيامـة مـن الأرض الترابية ، وسنخرج منها للحساب والمساءلة ، أمام الله الذي يملك كل شـيء ، والذي ستنصب موازينه العادلة في يوم لا ينفع فيه مالُ ولا بنون ولا جاه ولا مناصب ، في يوم عبوس قمطرير ، ويكون الناس فيه سـكارى ومـا هـم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد ، وقد صور لنا القرآن الكريم بعض المشاهد عن هذا اليوم العسير ، حيث قال رب العزة فيه :

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد ( ٧ ) ﴾

وحيث قال : ﴿ ونضع الموازين بالقسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفي بنا حاسبين (٨) ﴾

---

( ٧ ) ــ الحج : ١ - ٢ .

( ٨ ) ــ الأنبياء : ٤٧ .

وحيث قال : ﴿ يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه (٩) ﴾

وحيث قال : ﴿ فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية ، وأما من خفت موازينه فأمه هاوية ، وما أدراك ماهية ، نار حامية (١٠) ﴾

إن يوم القيامة رهيب كل الرهبة ، شديد كل الشدة ، ولكن ليس بهذه الصورة علي كل الناس إذ إن في يوم القيامة أناسا لا يشعرون برهبة هذا اليوم الشاق ، وهم أولئك الذين كانوا في دنياهم يخافون ربهم ، ونتيجة لهذا الخوف من الله ، يؤدون واجبهم أداء كاملا دون نقص ، سواء كان هذا الواجب دينيا أو دنيويا ، إن هذا الصنف من الناس يعيش في يوم القيامة في ظل رحمة الله ، ولذا فلا خوف ولا اضطراب ، ولا ذعر ولا جزع .

إنه في يوم القيامة يجازي كل إنسان بما صدر عنه من قول أو فعل في دنياه ، فإن كان قد صدر عنه خير فجزاؤه الخير ، وإن كان قد صدر عنه شر فجزاؤه الشر ، وفي هذا الصدد يقول الله تعالي :

---

( ٩ ) ــ عبس : ٣٤ – ٣٧ .

( ١٠ ) ــ القارعة : ٦ – ١١ .

﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره (١١) ﴾

ويقول سبحانه : ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ، ويحذركم الله نفسه ، والله رءوف بالعباد (١٢) ﴾ .

إنه يجب علي الإنسان أن يكون مستقيما في حياته الدنيوية ليجد في الآخرة الرضا الإلهي ، والنعيم الرباني ، والخلود الدائم ، في جنات تجري من تحتها الأنهار ، التي فيها من ألوان النعيم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر .

فيا أيها الإنسان : تذكر ربك دائما ، واملأ قلبك بالإيمان الحي النابض ، وكن متحليا بمكارم الأخلاق ومحامد الصفات ، وبهذا يشرح الله صدرك ، ويطمئن قلبك ، وتكون في أحسن حال ، وتذكر كذلك قول الله تعالي :

﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا (١٣) ﴾ .

---

( ١١ ) ــ الزلزلة : ٧ – ٨ .

( ١٢ ) ــ آل عمران : ٣٠ .

( ١٣ ) ــ الأنعام : ١٢٥ .

وتذكر أيضا نعم ربك عليك ، وهي نعم كثيرة لا تعد ، ولا تحصـــي ، ولا تنس هذا الحديث القدسي الدال علي الفضل الإلهي : **﴿ يا بن آدم : جعلت لك قرارا في بطن أمك ، وغشيت وجهك بغشاء لئلا تنفـــر مـــن الرحـــم ، وجعلت وجهك إلى ظهر أمك لئلا تؤذيك رائحة الطعام ، وجعلت لك متكأ عن يمينك ومتكأ عن شمالك ، فأما الذي عن يمينك فالكبد ، وأمـــا الـــذي عـــن شمالك فالطحال ، وعلمتك القيام والقعود في بطن أمك ، فهل يقدر علي ذلك غيري ؟ فلما أن تمت مدتك ، أوحيت إلى الملك الموكل بالأرحام أن يخرجك، فأخرجك علي ريشة من جناحيه ، لا لك سن يقطع ، ولا يد تبطش ، ولا قدم تسعي به ، فأنبعت لك عرقين رقيقين في صدر أمك يجريان لبنا خالصـــا ، حارا في الشتاء باردا في الصيف ، وألقيت محبتك في قلب أبويـــك ، فـــلا يشبعان حتى تشبع ، ولا يرقدان حتى ترقد ، فلما قـــوي ظـــهرك ، واشـــتد أزرك، بارزتني بالمعاصي في خلواتك ولم تستح مني ، ومع هذا إن دعوتني أجبتك ، وإذا سألتني أعطيتك ، وإن تبت إلى قبلتك،﴾**

وهذا حديث آخر يبين فضل الله العظيم ورحمته الواسعة علي خلقه ، إنه يقول : **﴿أذنب عبد ذنبا ، فقال : اللهم اغفر لي ذنبي . فقال الله تبـــارك وتعالي : علم عبدي أن له ربا يغفر ذنبه ، قد غفرت له ، ثم عاد فـــأذنب ، فقال : أي رب اغفر لي ذنبي ، فقال تبارك وتعالي: علم عبدي أن له ربـــا يغفر ذنبه ، قد غفرت لعبدي فليفعل ما شاء (١٤)﴾** ، وفي الحديـــث الـــذي

---

( ١٤ ) ــ البخاري ومسلم .

يتحدث عن الرحمة الإلهية ندرك عظم رحمة الله وسعتها وشموليتها، وهاك هو: ﴿**جعل الله الرحمة مائة جزء ، فأمسك عنده تسعة وتسعين ، وأنزل في الأرض جزءا واحدا، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق ، حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه (١٥)** ﴾ ولذلك يقول رب العزة في القرآن الكريم :

﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ، ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى، فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا(١٦) ﴾.

إنها لصورة باهرة ، وإنه الفضل الرباني العظيم ، أن تكون رحمة الله تعالي بهذه الكيفية ، التي تجتث من القلوب اليأس ، وتزرع فيها الأمل ، وتوجه الإنسان إلى الرجوع إلى الله ، والإخلاص في عبادته وأدائها علي الوجه الأكمل ، ومما يوصل إلى تلك الغاية الكريمة التفقه في الدين ، إذ هو المرآة الناصعة إلى المعرفة بالله , ومتي عرف الإنسان ربه أحبه ، وإذا أحبه نفذ أوامره واجتنب نواهيه ، ونال رضاه جل شأنه ، وهذا علي بن أبى طالب يوضح لنا أصل الدين ، وذلك لما قيل عنه من أنه لم يرتض أحدا من الرواة

---

( ١٥ ) ـــ البخاري ومسلم .
( ١٦ ) ـــ فاطر : آية رقم ٤٥.

والقصاصين في مسجد الكوفة سوي واحد وهو الحسن البصري ، رضيع الحكمة من أم سلمة زوج الرسول وأم المؤمنين رضي الله عنهم جميعا ، وها هو ذا يقول للحسن البصري ، إني سائلك عن أمر ، فإن أجبت عنه أبقيتك وإلا كان شأنك شأن أصحابك الذين لم أتركهم في المسجد ليقولوا فيه ما يشاءون فقال الحسن :

ـ سل عما شئت ، فقال علي كرم الله وجهه ، ما ملاك الدين ؟ فقال الورع، فقال علي : فما فساد الدين ؟ قال له الطمع ، فقال علي : اجلس فمثلك لا يتكلم مع الناس ، وقد دخل علي عمر بن عبد العزيز غلام يقال له حريث بن عثمان مع أبيه ، فسأل عمر والد الغلام قائلا له ، ماذا تعلمه ؟ قال الفقه ، فقال عمر له : علمه الفقه الأكبر ، قال : وما الفقه الأكبر يا أمير المؤمنين؟ ، قال : القناعة ، وكف الأذى .

وهذا هو أبو يزيد البسطامي يقول : غلطت في أربعة أشياء في الابتداء مع الله تعالي :

ـ ظننت أنى أحبه فإذا هو أحبني ، قال تعالي :

﴿ يحبهم ويحبونه (١٧) ﴾.

---

( ١٧ ) ـ المائدة : ٥٤ .

وظننت أني أرضي عنه فإذا هو قد رضي عني، قال سبحانه :

﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه(١٨)﴾ .

وظننت أني أذكره فإذا هو يذكرني ، قال تعالى :

﴿ ولذكر الله أكبر (١٩)﴾ .

وظننت أني أتوب إليه فإذا هو قد تاب علي ، قال سبحانه :

﴿ ثم تاب عليهم ليتوبوا (٢٠)﴾.

---

( ١٨ ) ــ البينة : ٨ .

( ١٩ ) ــ العنكبوت : ٤٥ .

( ٢٠ ) ــ التوبة : ١١٨ .

# وحدانية الله

قال الله تعالي :

﴿ قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد (٢١) ﴾

إنها الحقيقة وهي أن الله واحد لا شريك له ، وإنه الدليل القرآني الذي أثبت وحدانية الله ، ثم إن الله تعالي ليس له ولد وهو لم يولد ، فليس لـــه أب ولا أم ، وهو كذلك لا مثيل له ولا نظير ، وحاشا لله أن يوصف بما يوصـف به خلقه ، وصدق الله حيث قال :

﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله (٢٢) ﴾ .

حيث قال : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير (٢٣) ﴾.

إن الله تعالي لابد أن يكون مخالفا للحوادث في الذات وفي الصفـات وفي الأفعال ، وهؤلاء الذين قالوا : عزيراً بن الله ، والآخرون الذين قالوا : المسيح ابن الله ، هؤلاء وأولئك جانبهم الصواب ، وهم بهذا القـول قد كفروا ، وضلوا سواء السبيل ، وتعالي الله عما يقولون علواً كبيراً .

---

( ٢١ ) ــ الإخلاص .
( ٢٢ ) ــ المؤمنون : ٩١ .
( ٢٣ ) ــ الشورى : ١١ .

إن الله تبارك وتعالي هو الرب والإله والخالق لكل شيء في هـذا الكـون بقدرته ، وهو وحده الصانع الذي أتقن ما صنع ، دون معاونة من أحد غيره ، لأنـه غني وغير محتاج ، ولابد أن يكون الإله كذلك ، ثم إن الله هو المدبر أمـور هـذا الكون الفسيح، بنظام ثابت بديع، دون خلل وبلا نقص ، وصدق سبحانه حيث قـال :

﴿ صنع الله الذي أتقن كل شيء (٢٤) ﴾

إن العقيدة الإيمانية ترتكز علي وحدانية الله ، وهي عقيدة واضحـة لا لبس فيها ولا غموض ، والأدلة كثيرة في القران الكريم علـي وحدانيـة الله ومخالفته للحوادث ، إن هؤلاء الكفار الذين انحرفوا في حياتهم ، وعبـدوا غـير ربهم ، ولم ينظروا في خلق أنفسهم ولا فيما في هذا الكـون الرحـب مـن دلائـل واضحة تدل علي الله الواحد ، هؤلاء الذين اتخذوا لله شركاء ، ولم يفكروا التفكـير السليم الذي يوصلهم إلى الحقيقة ، إنهم بهذا الشطط والتخبط والخروج عـن جـادة الصواب ، قد عرضوا أنفسهم لغضب الله وعقابه ، ويوم القيامة سيجدون مـا أعـد لهم من عذاب أليم وعقاب شديد ، وسيقذف بهم في نار جهنم بشدة وبـلا هـوادة ، وسيقال لهم آنذاك ما جاء في القرآن الكريم :

﴿ ولقد جئتمونا فرادي كما خلقناكم أول مرة ، وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم ، وما نري معكم شفعاءكم الذين

---

( ٢٤ ) ــ النمل : ٨٨ .

زعمتم أنهم فيكم شركاء ، لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون(٢٥) ﴾.

ألا إنها العاقبة السيئة المروعة لأولئك الذين أشركوا بربهم ، ولهؤلاء الكفار الذين عبدوا غير خالقهم ، وهم قد ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وأمعنوا في ضلالهم، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

﴿ أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ، ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا (٢٦)﴾

إن الله تعالي متصف بكل صفات الكمال والجلال ، ومن هذه الصفات الواجبة له سبحانه صفة الوحدانية، فالله واحد لا شريك له، ولو كان هناك شركاء لله لفسد نظام الكون ولاختل كل الاختلال ، وهذا هو القرآن الكريم يقرر هذه الحقيقة ، ويبرز لنا ما يترتب من مفاسد لو كان مع الله غيره ، وصدق رب العزة حيث قال :

﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ، فسبحان الله رب العرش عما يصفون (٢٧)﴾

---

( ٢٥ ) ــ الأنعام : ٩٤ .
( ٢٦ ) ــ الكهف : ١٠٥ - ١٠٦ .
( ٢٧ ) ــ الأنبياء : ٢٢ .

إن هذا الدليل القرآني يؤكد وحدانية الله ، ويقرر أنه لو كان لله شركاء لكان الاضطراب الكثير ، ولحدثت نكسات لهذا الكون ، ولكن والحمد لله كل شيء يسير بنظام محكم ودقة بالغة ، بإرادة الله وقدرته وعلمه وحكمته ، فالله واحد لا شريك له ، ودلائل وحدانيته منتشرة في هذا الكون ، ظاهرة أمام الأعين ،

وفي كل شيء له آية تدل علي أنه الواحد.

ومن العجيب أن الكفار كانوا يعبدون الحجارة أو غيرها ، ويقولون :ـ

ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ، وبئسما قالوا وهم مخطئون كل الخطأ فيما فعلوا ، وهل يعقل أن يكون الحجر الذي يعبد من دون الله شفيعا لمن يعبده لدي الله؟

إنه لا شفاعة لجماد عند الخالق العظيم ، وإنه لزعم باطل وجهل فاضح ، أن يتجه الإنسان بعبادته لغير الله ، وأن يقلد الآباء والأجداد في هذا الميدان ، وقد جاء القرآن الكريم بالآيات الدالة علي هذا الانحراف العقائدي لدي من يعبدون مخلوقات الله ، وعلي أنهم يحاكون آباءهم وأجدادهم دون تحكيم للعقل، وبلا روية وتفكير سليم، وصدق رب العزة حيث قال :

﴿ ألا لله الدين الخالص ، والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى [28]﴾ وحيث قال : ﴿ قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون[29] ﴾

---

( ٢٨ ) ـ الزمر : ٣ . ( ٢٩ ) ـ الشعراء : ٧٤ .

ومن خلال هذه المواقف ، وذلك السلوك نجد أن هؤلاء الكفار قـــد ألغــوا عقولهم ، وعطلوا وظائف تفكيرهم ، وأنهم بهذا التصرف قد ساروا في طريق مظلم باختيارهم ، دون تبصر وبلا نظر للعواقب.

إن الإسلام حين جاء تصدي للعقائد الزائفة ، والعبـــادات للمخلوقـــات ، كالأحجار والكواكب والشمس والقمر وغير ذلك مما لا يسمع ولا يبصـــر ولا يغني من الله شيئا عن كل أولئك وقد وضح الإسلام بأن المعبود بحق هو الله ، وأنه ليس له شركاء ، وهو الواحد الفرد الصمد .

وإذا فالدعوة إلى الله والمعرفة له والعبادة له هي دعوة تحرير للعقـــول وتصحيح للعقيدة ، وهي دعوة خيرة ، تهدف إلى عزة الإنســـان ، وكرامتـــه وإعلاء شأنه ، والأخذ بيده إلى طريق المحبة الإلهية ، والنعيم فـــي الجنـــة ، والرضا من الله تعالي . وهذه الدعوة الإيمانية لا تعترف بالعنصرية وتحارب عبودية الإنسان لأخيه الإنسان ، وهي دعوة المساواة ، وميزان التفاضل بيـــن الناس ليس في وفرة المال ولا الجاه ولا اللون ، وإنما هو في نظر الإسلام في شيء أسمي من ذلك وأعظم وهو تقوي الله تبارك وتعالي ، ويؤكد هذا المعني قول الله تعالي :

﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم [٣٠] ﴾

هذا هو المقياس العادل ، وتلك هي النظرة الثاقبة . والله تعالي أرسل الرسل من أجل توجيه الإنسان إلى العقيدة الصحيحة ونبذ ما عداها ، وإلـــي المعرفة الحقيقية بمن خلق وأنعم ، وإلي التحلي بمكارم الأخلاق ، والبعد عـن مساوئ الصفات ، وأداء الواجب بإخلاص وإتقان ، والسمو بالإنسانية لتكـون في أجمل صورة .

إن عقيدة الإيمان بالله تعالي محلها القلـب ، ووعاؤهـا ذلـك الجـهاز الرباني، الذي يضع فيه أسراره ، والذي هو من صنع الله تبارك وتعالي :

﴿ صنع الله الذي أتقن كل شيء [٣١] ﴾ .

وهكذا تتضح الصورة ، وتبرز الحقيقة واضحة ، بأن الله واحـد ، وأن الإيمان بالله وحده يمثل العقيدة السليمة ، وأن هذه العقيدة تؤدي بصاحبها إلـى الرضا من الله ، وإلي الفوز بجناته ، والنجاة من نار جهنم .

---

( ٣٠ ) ــ الحجرات : ١٣ .

( ٣١ ) ــ النمل : ٨٨ .

# من لطائف السنة النبوية

## من لطائف القرآن الكريم :

أولاً : أن الله تعالي لم يضف العبودية لغيره من خلقه ، وذلك في قوله تعالي :

﴿ وإذ قال موسى لفتاه [١] ﴾

فقد عبر عن العبد بالفتي، وعبر كذلك عن الأمة بالفتاة، وذلك في قوله تعالي :

﴿ ولا تكرهوا فتياتكم علي البغاء [٢] ﴾

وإذاً فالعبودية لا تكون إلا لله ، ولا تكون لغيره جلَّ شأنه حيث إن عبودية الإنسان لله فيها شرف وعزة وكرامة ، وأما عبودية الإنسان للإنسان ففيها مذلة ومهانة ، وتلك هي السنة النبوية المطهرة تنهي عن عبودية الإنسان لغيره حيث قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :

ــ لا يقل أحدكم : عبدي وأمتي ، وليقل فتاي وفتاتي [٣].

ولقد بني الإسلام بناءً سليماً في أسسه وأركانه وهو بناء قوي لا يبلي ولا يضعف مهما امتد عمر الزمان ، ثم إن دعوة محمد بن عبد الله قامت علي

---

[١] ــ الكهف : ٦٠ .

[٢] ــ النور : ٣٣ .

[٣] ــ البخاري ومسلم .

التفكير في ملكوت السماوات والأرض ، وعلى المعرفة الحقيقية بالله تعـــالي وما يتصف به من صفات الألوهية وإفراده جل شأنه ومراقبته وحده في جميع الأقوال والأفعال وتعطير الألسنة بذكره والثناء الجميل عليه وهذا هو الرسول الكريم يقول : عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلـــي الله عليه وسلم :

(( إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا )) : قلت : وما رياض الجنة؟ ، قـــال : ((المساجد)). قلت : وما الرتع يا رسول الله ؟ قال : (( **سبحان الله ، والحمـد لله ، ولا إلـه إلا الله ، والله أكبر** [٤] )).

وقد أخبرنا صلوات الله وسلامه عليه : بأن سبعة مـــن أحبـــاب الله يكونون يوم القيامة في ظل رحمة الله ، ومن هؤلاء السبعة رجل ذكر الله فـي خلوة ففاضت عيناه بالدموع خوفا من الله .

ويقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه :

**(( ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة وغشـــيتهم الرحمة وذكرهم الله تعالي فيمن عنده** [٥] )).

---

[٤] ــ رواه الترمذي في كتاب الدعوات ٥ / ٤٩٧ . [٥] ــ مرفوع متصل .

تلك هي نتيجة ذكر الله تعالي والإيمان به والإخلاص له في عبادته ، طلبا لرضاه ، وأملا في رحمته ، واستدامة لنصرته ، وما أعظمها من نتيجة.

إن الدعوة إلى وحدانية الله ليست من الأمور الهينة ، وإنما هي من الأمور الشاقة علي رسل الله ، ولذا كان الرسل في المستوي الذي يمكنهم من الدعوة إلى الله، وكانوا لا يبالون بالمشقات التي تعترض طريقهم ، ولا يأبهون بما يصادفهم من أشواك وصعاب ، ولقد كان المصطفي محمد صلي الله عليه وسلم حين دعوته كالجبل الراسخ ، فهو لم يهن ولم يضعف ، ولم ييأس أو يتخاذل، وكان دائما صبورا شجاعا ، وكم من حروب قامت بينه وبين الكفار، ولكنه واجهها بكل جسارة ، وبهذا نصره الله ، وعمت الدعوة الأرجاء ودخل الناس في دين الله أفواجا ، وقد ترك الأمة علي المحجة البيضاء ، وصارت العقيدة راسخة ، قوية البنيان ، كاملة الأركان ، وقد جاء الخلفاء الراشدون من بعده، فساروا علي نهجه ، ونسجوا علي منواله ، وجاهدوا في سبيل عقيدتهم، مما جعل الإسلام يقوي ويشتد وينتشر ، وهذا موقف مشرف لأبي بكر الصديق رضي الله عنه حين كان خليفة للمسلمين ، حيث إن بعض المسلمين امتنعوا عن أداء الزكاة، واحتجوا بقول الله تعالي: ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها، وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم [٦] ﴾

---

[٦] ـ التوبة : ١٠٣ .

وقالوا : لن ندفع زكاتنا إلا لمن صلاته سكن لنا ، يريدون بذلك المصطفي عليه السلام ، وقال بعضهم : أطعنا رسول الله إذ كان بيننا ، وهنا قرر أبو بكر محاربتهم ، لأنهم بامتناعهم عن أداء الزكاة يهدمون ركنا من أركان الإسلام ، وقد قال له عمر رضي الله عنه حين عزم علي محاربتهم :

ـ كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :

**(( أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحق الإسلام وحسابهم علي الله؟ )).**

ونصحه عمر بتركهم وعدم محاربتهم وما هم عليه من منع الزكاة، حتى يتمكن الإيمان فيهم ويقوي في قلوبهم ثم بعد ذلك يزكون ، فقال له أبو بكر رضي الله عنه :

ـ يا عمر أجبار في الجاهلية خوار في الإسلام[٧]؛ إنه قد انقطع الوحي وتم الدين ، أو ينقص وأنا حي ؟ والله لأقتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عناقا – عنزا – كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم لقاتلتهم علي منعها.

وأصبحت عقيدة الإيمان قوية الأركان واضحة المعالم ، عنوانها التصديق والإقرار بأنه لا إله إلا الله – أي لا معبود بحق إلا الله وليست العبادة لأحد سواه – فهو سبحانه إله لا أول لوجوده ، ولا نهاية له ، ولا

---

(٧) ـ ضعيف .

يعتريه قصور ولا يلحقه عجز ، ولا تأخذه سنة ولا نوم ، ولا يعـــزب عنـــه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، وهو الموصوف بالصفات التي تليـــق بذاته ، والمتنزه عن كل نقص وعيب .

# الإسلام عقيدة وعمل

الإسلام عقيدة تجعل الإنسان يتحمل الشدائد والصعاب مهما بلغت من الشدة ، لأنه يعلم أنه علي الحق المبين الواضح الذي لا يشوبه نقص ولا يعتريه تبديل ولا تغيير ، ولذلك نري المسلمين في صدر الإسلام كانت العقيدة الدينية عندهم ثابتة وقوية في قلوبهم ، لأنهم يرون أنهم علي الحق الواضح الذي يفوق في وضوحه القمر ليلة البدر .

ولذلك كانوا يعانون من العذاب والقسوة من قومهم وأعدائهم ، ولكن لم تضعف عقيدتهم ، ولم يؤثر هذا التعامل الوحشي في إيمانهم ، وإنما كانوا في ظل هذا العذاب وتلك القسوة أشد إيمانا ، ولذا كانت قوة إيمانهم من أكبر العوامل في نصرة الإسلام ورفع لوائه فوق كل لواء ، وبهذه القوة الإيمانية تحطمت عظمة الملوك ، وانهارت قوة الباطل ، وانهزم أعداء الدين الإسلامي

﴿ وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا[1] ﴾

إن العقيدة الإيمانية حين تكون راسخة تزلزل الجبال ، وتهزم بكل سهولة الأعداء ، وتحمل المؤمن علي البذل والعطاء ، والجهاد والصبر ، والدفاع عن العقيدة مهما كان الثمن غاليا ، ولذا كان المؤمن لا تغريه الوعود البراقة ، ولا يخيفه الوعيد مهما كان قويا ، وكان يدخل ميدان الجهاد وهو يضع روحه علي كفه ، غير مبال بالموت ، ولا مكترث بالصعاب .

---

(١) ـ الأحزاب : ٢٥ .

إن المؤمنين كانوا بهذه الصورة المشرقة لأن مثلهم الأعلي الحبيب المصطفي محمد ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ ، ذلك الذي تجشم الكثير من المشقات ولكنه كان لا يهتز أمامها ، مما يدل علي قوة تحمله عليه السلام ما رواه البخاري عن عبد الله بن مسعود قال :

ــ كنا مع رسول الله عليه السلام في المسجد وهو يصلي ، فقال أبو جهل : ألا رجل يقوم إلى فرث جزور بني فلان فيلقيه علي محمد وهو ساجد ، فقام عقبة بن معيط وجاء بذلك الفرث فألقاه علي النبي ــ صلي الله عليه وسلم ــ وهو ساجد ، فلم يقدر أحد من المسلمين علي إلقائه عنه لضعفهم عن مقاومة عدوهم ، ولم يزل عليه الصلاة والسلام ساجداً حتى جاءت فاطمة فأخذت القذر عنه ورمته . ( البخاري )

وكذلك كان أبو لهب جار الرسول عليه السلام يرمي القاذورات علي بابه ، وكانت أم جميل زوجته تسب الرسول وتفتري عليه الأكاذيب في مجمع النساء ، وقد أنزل الله في حقهما قرآناً يُتلى ويحمل الوعيد من الله لهما ، وصدق رب العزة حيث قال :

﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ، ما أغني عنه ماله وما كسب ، سيصلي ناراً ذات لهب ، وامرأته حمالة الحطب ، في جيدها حبل من مسد[٣] ﴾ .

(٣) ت سورة المسد : ١ ــ ٥ .

وهذا هو الجار الثاني للرسول وهو عقبة بن أبي معيط كان هو الآخر يـؤذي رسول الله كثيراً ، وفي يوم من الأيام صنع طعاماً ودعا عظماء قريش ومعهم الرسول صلي الله عليه وسلم ، وقد قال له الرسول :

ــ والله لا آكل طعامك حتى تؤمن بالله .

فتشهد عقبة ، فبلغ ذلك أُبي بن خلف وكان صديق عقبة ، فقال لـه :

ــ لقد بلغني عنك شيء ، فقال له عقبة : لاشيء سوي أنه دخل منزلي رجـل شريف عظيم ، فامتنع أن يأكل طعامي حتى أشهد له ، فاستحييت أن يخــرج من بيتي من غير أن يطعم فتشهدت له ، فقال أُبي :

ــ وجهي من وجهك حرام إن لقيت محمداً فلم تطأ عنقه وتبزق فـي وجهـه وتلطم عينه .

فلما رأي عقبة رسول الله ساجداً فعل به ذلك ، فأنزل الله تعـالي قولـه فـي القرآن الكريم :

﴿ ويوم يعض الظالم علي يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً ، ياويلتا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً ، لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني ، وكان الشيطان للإنسان خذولاً (٥) ﴾

---

(٥) ــ سورة الفرقان : ٢٧ ــ ٢٩ .

ومن أعمال هذا الشرير عقبة ما رواه البخاري في صحيحة قال :

ـ بينما النبي يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنق رسول الله صلي الله عليه وسلم فخنقه خنقا شديداً ، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي صلي الله عليه وسلم وقال :

ـ أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ؟

(غافر : ٢٨)

ومن هؤلاء المستهزئين الأسود بن عبد المطلب الأسدي ، والوليد بن المغيرة وغير هؤلاء ، وقد أعلن الله تعالي في القرآن الكريم سخطه عليهم وتوعدهم جميعا حيث قال :

﴿ إنا كفيناك المستهزئين ، الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون[٧] ﴾

ولقد كان من أهم العوامل التي جعلت المسلمين الأوائل يتحملون الصعاب والشدائد والإيذاء من الساخطين والناقمين علي الدعوة أنهم كانوا يرون بأعينهم أن قائدهم مثال الصبر والشجاعة والتحمل في سبيل العقيدة ، فكانوا يتأسون ويقتدون به في إقدامه وثباته وتوكله واعتماده علي ربه ، ومن هنا كان صحابة رسول الله يسيرون علي نهجه ويستعذبون الآلام مثله ، ولم

---

[٧] ـ الحجرات : ٩٥ ـ ٩٦ .

يتزحزحوا عن عقيدتهم، ولم تتصرف قلوبهم عن تحمل الإيذاء ، بـــل كـــان الإيذاء بردا وسلاما علي قلوبهم في سبيل إرضاء الله ورسوله ، ولقـــد نـــزل القرآن الكريم ليبين ما ينتظرهم من خير في مستقبل حياتهم ، وصــــــدق رب العزة حيث قال :

﴿ ونريد أن نمن علي الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين[٨] ﴾

وتلك نماذج لمن عذبوا في سبيل تمسكهم بعقيدتهم الإيمانية والذيـــن رسخت العقيدة في قلوبهم كل الرسوخ ، ومن هؤلاء الذين يعتز بهم الإســـلام ويعتبرون مثلا عليا في الصبر علي الأذى والحفاظ علي العقيدة مهما كـــانت المعاناة : ومن هؤلاء عمار بن ياسر ، وأخوه ، وأبوه ، وأمه ، وهذه صـــور التعذيب ، وممن تزعموا تلك الحملة الشرسة أبو جهل ، ذلك الذي كان يلبـس عمارا دروع الحديد في اليوم الحار ويتركه في الشمس ، ومن شدة العـــذاب وقسوته نطق يوما بكلمة الكفر ، وعندئذ قال المسلمون : كفر عمار ، ولكـــن

---

(٨) ـ القصص ٥ .

الرسول قال لهم هذه العبارة التاريخية التي تبين بأن عمارا لم يكفر ، وأن قلبه مليء بالإيمان ، قال لهم الرسول صلوات الله وسلامه عليه :

ــ عمار مليء إيمانا من فرقه إلى قدمه [٩].

أما ياسر والد عمار وأمه فقد ماتا من شـــدة التعذيـــب ، وفـــاضت روحهما من قسوة الإيذاء ، فهما شهيدا العقيدة الإيمانية ، وقد سجل التـــاريخ لهما استبسالهما إلى آخر نفس في حياتهما ، ولقد مر الرسول في يـــوم مـــن الأيام علي تلك الأسرة المثالية في إيمانها وهي تعذب، فقال عليه السلام آنئذ :

**(( صبرا آل ياسر فموعدكم الجنة ، اللهم اغفر لأهل ياسر )).**

وممن عذبوا في سبيل الله : امرأة تسمي "زنيرة " وظلت هذه المـــرأة تعذب حتى فقدت بصرها ، وعندئذ قال المشركون : ما أصاب بصرهـــا إلا الأصنام ، فقالت المرأة : كلا ما هو ذلك ، تعني بأن بصرها ذهـــب بســـبب التعذيب من أجل العقيدة ، ومن رحمة الله بهذه المرأة أنه سبحانه رد عليـــها بصرها ولم يحرمها من نعمة النور ، ولكي يبين لهؤلاء المشركين أن هـــذه المرأة لن يتخلى عنها ربها .

ومن الذين عذبوا أيضا : بلال بن رباح وكان مملوكا لأمية بن خلف، وكان سيده يطرحه علي الرمال الحارة في وقت الظهيرة علي ظهره ، ويضع

---

[٩] ــ الفرق هو وسط الرأس .

علي صدره صخرة ويضربه بقسوة ، ولكنه لم تتغير عقيدته ، وظل متمسكا بها ، وكيف تتغير عقيدته وهو ذلك الذي ذاق حلاوة الإيمان ؟ وأحب كل الحب ربه ، ومع شدة التعذيب كان لسان بلال يردد بصوت عال قوله :

ــ أحدٌ ، أحدٌ .

ولم يتوقف عن ترديد ذلك القول الإيماني ، ولقد كان أمية بن خلف يضع في عنق بلال حبلاً ، ويأمر الصبيان بجره وتعذيبه والسخرية منه ، ومع هذا لم يتوقف لسانه عن تعطيره بكلمة التوحيد ، وظل بلال علي تلك الصورة إلى أن اشتراه أبو بكر ــ رضي الله عنه ــ وأعتقه وأنقذه من هذا العذاب الذي كان فوق طاقته ، إنها النماذج الإيمانية الرائعة ، وإنه الصمود أمام وحشية الكفار و تعذيبهم ، ولذلك نري أن المؤمن الحق هو من صدق بأن الله تعالي هو المعبود بحق ، وأنه سبحانه الخالق القادر المالك لكل شيء، وهو المحيي المميت المحاسب المجازي ، العالم بكل شيء ، وأنه جل شأنه المتصرف في هذا الكون ومدبر أموره ، ومن أجل المعرفة بهذه الأمور تكون العبادة مبنية علي الإخلاص في السر والعلن ، وأن يعبد المؤمن ربه كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فهو سبحانه يراه ، وأن يتمثل المؤمن قول القائل :

أسعي لخالقي و أقصد وجهه ... وعن المسير إليه لن أتخلفا

يا مالكا روحي ومانحها الهدي ... انظر إليَّ فأنت أكرم من عفا

إن قيل : من ؟. قلت : امرؤ في ربه ... ساع وهذا في انتسابي قد كفي

لا و الذي غمر العباد بفضله ... إني بغير الله لن أتشرفا

---

ولقد كان الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ يؤكدون عقيدتهم بـــالعمل الصالح، ويطبقون كل ما أمر به الله أو نهي عنه ، وكـــانوا يســيرون علـــي المنهج الذي جاء به الرسول من قبل الله بصدق و أمانة و إخلاص ، وكـــان رسول الله ــ صلي الله عليه وسلم ــ يوجههم دائما إلى ما يجــب عليـــهم أن يفعلوه أو يتركوه ، وكانوا حريصين كل الحرص علي تطبيق ما يقدمه لهم من توجيه ، وتلك خطبة للرسول لهم بعد قدومه إلى المدينة :

**أما بعد**

أيها الناس : يأتي أحدكم يوم القيامة وليس له ترجمان ولا حـــاجب يحجب دونه ، فيقول له ربه : ألم يأتك رسولي فبلغك ؟ وآتيتك مالا و تفضلت عليك ، فما قدمت لنفسك ؟ فينظر يمينا وشمالا فلا يري شيئا ، ثم ينظر أمامه فلا يري غير جهنم ، فمن استطاع أن يقي وجهه من النار و لو بشق تمـــرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فإنها تجزي بعشر أمثالها إلى ســـبعمائة ضعف .

إنها توجيهات نبوية تستهدف خير المسلم ، وتنير طريـــق الآخـــرة أمامه ، لذا كان الصحابة ومن بعدهم من المؤمنين يعيشون في نور التوجيـــه النبوي ، ويعملون الخير أيا كان نوعه، فالموسر بإنفاق المال ، وغيره بالكلمة الطيبة ، تلك أمثلة نشأت في هذا الجو الإيماني العبق ، وخلد التاريخ ما قام به

المسلمون الأوائل من أعمال جليلة لها وزنها ، ووراءها الجزاء الحسن والثواب الكبير من الله ، تلك هي الأمثلة .

١ - أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - أنفق أموالا كثيرة في سبيل الدعوة وفي سبيل إنقاذ بعض المستضعفين الذين عذبوا في سبيل الله ، حيث كان يشتري العبيد الذين آمنوا وعذبوا أمثال بلال ويعتقهم وينقذهم من العذاب ابتغاء وجه الله ، وقد كان الرسول مسرورا كل السرور بما يقوم به هذا الصحابي الجليل ، وقد قال عنه الرسول - صلوات الله وسلامه عليه -:

- لو كنت متخذا من أمتي أحدا خليلا لاتخذت أبا بكر .

٢ - عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - تبرع بنصف ماله في غزوة تبوك ، وقد قال له علي - رضي الله عنه - لما أثني علي جيش المسلمين في معركة القادسية " يا أمير المؤمنين : عففت فعفت رعيتك .

٣ - عثمان - رضي الله عنه - أنفق الكثير من ماله في غزوة تبوك ، وقد أثني عليه الرسول وقال :

- اللهم ارض عن عثمان فإني عنه راض .

٤ - علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - كان كثير الإنفاق في سبيل الله ، وهو المقصود بقول الله تعالي :

﴿ ويطعمون الطعام علي حبه مسكينا ويتيما وأسيرا[٨] ﴾.

٥ – وكانت عائشة – رضي الله عنها – كثيرة البذل والإنفاق ، وقد تصدقت في يوم من الأيام بمبلغ كبير من المال وكانت صائمة ، فقالت لها خادمتها : لو أبقيت شيئا لتفطري عليه ، فأجابتها لو ذكرتيني لفعلت .

إنها لأمثلة سجلها التاريخ بمداد التقدير ، وهكذا كان الإيمان يحرك المؤمنين ويوجه مشاعرهم وقلوبهم إلى فعل الخير ، وبهذا الإيمان القوي النابض في القلوب كانت كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلي .

وهذا عمر بن عبد العزيز الخليفة العادل الزاهد وجه تلك الكلمة القصيرة إلى المسلمين ، وهي علي قصرها تحمل الموعظة الحسنة والعبرة والتوجيه . وتلك هي :

(( أيها الناس : إنكم خلقتم لأمر ، إن كنتم تصدقون به فإنكم حمقي ، وإن كنتم تكذبون به فإنكم هلكى ، فما خلقتم لأبد ، ولكنكم من دار إلى دار تنتقلون ، إلى أن قال : فاعملوا لما أنتم سائرون إليه وخالدون فيه )).

ولقد كان لهذه الكلمة وقع عظيم في قلوب المسلمين ، ولهذا كانوا ينظرون إلى الآخرة بقلوبهم ، ويوجهون أعمالهم إلى ما يفيدهم في أخراهم ،

---

(٨) – سورة الإنسان : ٨ .

وسمت أرواحهم وطهرت نفوسهم ، وتعلقت بالدار الآخرة ، فعملوا لـــها مــا يرضي الله تعالي ، وجدوا في طاعة الله لينالوا الخير من الله ، وكأنهم كـــانوا يتمثلون قول القائل ( * ) :

ومن يعتصم بالله يسلم من الوري ومن يتخلص من سواه له الخير

ومن يعتصم بالله يحــفظ فــؤاده ومن يتجــه إلى الله تم له الأمر

ذكاؤك محســوب عليك فخــله لربك تلقــاه إذا حــارب الدهر

وهذا هو الإمام عليٌ ــ كرم الله وجهه ورضي عنه ــ يقول في اختبار العقيدة وتنشيطها : ألا ترون أن الله ــ سبحانه وتعالي ــ اختبر الأولين من لــدن آدم ــ عليه السلام ــ إلى الآخرين بأحجار لا تضــر ولا تنفــع ولا تســمع ولا تبصر، فجعلها بيته الحرام الذي جعله للناس قياماً ، ثم وضعه بــأوعر بقــاع الأرض حجراً ، ولو أراد سبحانه أن يضع بيته الحرام ومشاعره العظام بيــن جنات وأنهار لكان له ذلك ، ويكون قد صغر قدر الجزاء علي حسب ضعــف البلاء ، لأن الجزاء علي قدر المشقة ، ولأن الله تعالي يختبر عبــاده بــأنواع الشدائد ، ويتعبدهم بأنواع المجاهدة ، ويبتليهم بضروب المكـــاره ، إخراجــاً للتكبر من قلوبهم ، وليكون ذلك متمماً لفضله ، وأسباباً لعفوه ومغفرته [٩].

وعن الإخلاص في العمل الصالح : مـــا روي عــن ســعد بــن أوس الأنصاري عن أبيه رضي الله عنه قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :

* ــ السمو الروحي في الأدب الصوفي للشيخ ــ علي عقل. [٩]ــ ابن القيم الجوزية ــ الفوائد .

**(( إذا كان يوم عيد الفطر وقفت الملائكة علي أبواب الطرق ، فنادوا : اغدوا يا معشر المسلمين إلى رب كريم يمن بالخير ، لقد أمرتم بقيام الليل فقمتم ، وأمرتم بصيام النهار فصمتم ، وأطعتم ربكم ، فاقبضوا جوائزكم ، فإذا صلوا نادي مناد :**

**ـ ألا إن ربكم قد غفر لكم فارجعوا راشدين إلى رحالكم فهذا يوم الجائزة .))**

ثم يوضح لنا الرسول ـ صلي الله عليه وسلم ـ نتيجة العمل الصالح، فقد روي عن الحارث بن مالك الأنصاري : أنه مر برسول الله صلي الله عليه وسلم فقال : **كيف أصبحت يا حارثة ؟**

قال : أصبحت مؤمنا حقا ، قال : انظر ما تقول ، فإن لكل شيء حقيقة، فما حقيقة إيمانك ؟ فقال : عزفت نفسي عن الدنيا ، فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري ، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزا ، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وكأني أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها.

فقال : **يا حارثة : عرفت فالزم ثلاثا**[١٠].

وفي الصدق في العقيدة والعمل، ما روي عن شداد ـ رضي الله عنه ـ أن رجلا من الأعراب جاء إلى النبي ـ صلي الله عليه وسلم ـ فآمن به واتبعه ، ثم قال : أهاجر معك ، فأوصي به النبي ـ صلي الله عليه وسلم ـ بعض أصحابه ، فلما كانت غزوة غنم الرسول ـ عليه السلام ـ فقسم للجند

---

[١٠] ـ رواه الطبراني في الكبير .

وقسم له ، فأعطي أصحابه ما قسم له ، وكان يرعي ظهورهم ، فلمـــا جـــاء دفعوه إليه ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : قسم قسمه لك النبي ــ صلـــي الله عليـــه وسلم ــ فأخذه فجاء به إلي النبي ــ صلي الله عيه وسلم ــ فقال : ما هذا ؟

قال : قسمته لك ، قال : ما علي هذا اتبعتك ، ولكن اتبعتـــك علـــي أن أرمي هاهنا ( وأشار إلى حلقه ) بسهم فأموت فأدخل الجنة ، فقال له الرســول ــ صلي الله عليه وسلم ــ ، إن تصدق الله يصدقك ، فلبثوا قليلا ثم نـــهضوا إلى قتال العدو ، فأتي به إلى النبي ــ صلي الله عليه وسلم ــ يحمل، قد أصابه سهم حيث أشار ، فقال النبي ــ صلي الله عليه وسلم ــ : أهو هو ؟

قالوا : نعم ، قال النبي صلي الله عليه وسلم ، صدق الله فصدقه ، ثـــم كفنـــه النبي في جبته التي عليه ثم قدمه فصلي عليه وقال في صلاته :

ــ اللهم هذا عبدك خرج مهاجرا في سبيلك فقتل شهيدا وأنا شهيد علي ذلك .

# أسباب ضعف العقيدة الدينية

روي مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ــ صلي الله عليه وسلم ــ قال :

ــ بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء .

وفي رواية الترمذي :

ــ فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس . وعندما سمع الصحابة من الرسول ــ عليه السلام ــ هذا القول النبوي ، وقع في نفوسهم موقع الغرابة .

لأن الإسلام كان قويا وكان في نمائه وفي شبابه ، وفي ذروة العلو والشهرة ، ولكن في الواقع إن ما كان غريبا علي الصحابة أصبح حقيقة الآن، والسبب هو ضعف العقيدة الدينية ، ويرجع ذلك إلى الغرور بالدنيا وحب التعلق بها والافتتان بزينتها ، والارتماء في أحضانها ، وقد أثر ذلك علي السلوك ، نتيجة لهذا التحول ، انتشر الظلم ، وفشت شهادة الزور ، وشاع الزنا ، وذاعت جرائم القتل والإرهاب ، والسطو علي المنازل والمصارف ، وترويع الآمنين ، والاغتصاب في أبشع صوره ، وما إلى ذلك من رذائل أخرى يندي لها الجبين ، مثل المخدرات علي اختلاف ألوانها تجارة وتناولا وتأثير ذلك علي الشباب عقليا ونفسيا وجسديا واجتماعيا ، وكل ذلك ينعكس سلبا علي المجتمع ، وعلي عقيدتنا الدينية ، ويؤثر تأثيرا بالغا علي أمة الإسلام .

إن أنصار الشيطان في هذا العصر يكثرون يوماً بعد يوم ، وينشطون في ميادين الباطل ، ويحاولون بشتى الوسائل إضعاف الدين في النفوس ، وتشويه صورة الإسلام بأفعالهم الشريرة وأعمالهم الإجرامية ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

إنها لفتنة كبري يقوم بإشعال نارها أعداء الدين من الكفار وممن ينتسبون إلى الإسلام وهو منهم براء ، ولقد كان ابن مسعود ذا نظرة ثاقبة حين قال :

ــ كيف أنتم إذا لبستم فتنة يربو فيها الصغير ويُهرم فيها الكبير ، وتؤخذ سنة يجري الناس عليها ، فإذا غير منها شيء قيل : تركت سنة ، فقال له قائل : متي ذلك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : إذا كثر قراؤكم ، وقل فقهاؤكم ، وكثرت أموالكم ، وقل أمناؤكم ، والتمست الدنيا بعمل الآخرة ، وتفقه لغير الدين[١]، إنها الحقيقة يقررها هذا الصحابي الجليل ، ويصف لنا ما هو مشاهد في عصرنا وواقع في زماننا .

وإنه لمن الواجب علينا أن يقوم أهل العلم من بيننا بتوعية شاملة لاجتثاث الشر من النفوس، وإحلال الخير مكانه ، وتصحيح المفاهيم الخاطئة، وتوجيه الناس نحو طريق الاستقامة ، وأن تكون الدعوة إلى الخير برفق ،

---

[١] ــ موقوف متصل .

وأن يقدم النصح بطريقة جذابة ، وأن يكون القائمون علي هذه الدعوة المباركة قدوة حسنة في السلوك والتعامل ، لأن الداعي إذا لم يكن ذا سلوك حسن فإن دعوته لن تنجح إلا إذا كان القائم بها شخصية سوية متحلية بالفضائل ، بعيدة عن الرذائل ، وأن يكون ذا عقلية ناضجة ، وعلم واسع ، ولديه القدرة علي توصيل النصح بطريقة غير منفرة ، وبأسلوب مقنع ، وأن يقدم التوجيه بصورة غير ممجوجة ، وباتباع هذه النصائح وتطبيقها علي نفسه، يستطيع أن يغير الواقع المر الذي نعايشه الآن .

وبمشيئة الله إذا كان الأمر كذلك – سيتحقق الأمل الذي ننشده ، وهو القضاء علي الانحرافات ، وإحياء الإيمان في القلوب ، وإيقاظ النفوس ، ورفع راية الدين ، واسترداد الأمة الإسلامية مكانتها اللائقة بها بين الأمم . ومن المعلوم أن دين الإسلام دين وسط ، فلا تشديد ولا تكاسل ، ولذا يجب علي من يقوم بالتوعية ألا يستعمل أسلوب الشدة ، وأن يضع أمام عينيه أن دين الإسلام بني علي الرفق واليسر :

﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر[٢] ﴾

---

[٢] ـ سورة البقرة : ١٨٥ .

هذا هو القرآن الكريم ينبهنا إلى يسر ديننا وسهولة أوامره ، والسنة النبوية هي الأخرى نبهتنا إلى ذلك ، حيث قال الرسول ــ عليه السلام ــ : **(( سددوا وقاربوا وبشروا ، فإنه لن يدخل الجنة أحدا عمله ، واعملوا فإن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل ))**.

والدعوة إلى الخير ليست مقصورة علي العلماء وحدهم ، وإنما يشاركهم فيها كل من يجد في نفسه الكفاءة للقيام بها ، ثم إن الآباء دورهم كبير في هذا الميدان ، حيث إن أبناءهم بنين وبنات يعيشون معهم ، وهم قريبون كل القرب منهم ، ولذا كان من الواجب تبصير الأبناء بروح الدين من قبل الآباء والأمهات ، وتوجيههم التوجيه السليم ، وطبعهم منذ نعومة أظفارهم علي التأدب بالأدب الإسلامي ، والسلوك الحسن الذي يرضي عنه الله ، وغرس الصفات الحميدة في نفوسهم ، وأن يكون الآباء ، وكذلك الأمهات قدوة طيبة لهم، وهم في صغرهم يتأثرون بما يقال لهم ويتقبلون ما يوجهون إليه ، وماداموا قد وجدوا الرعاية والبيئة الصالحة والتوجيه والإرشاد فإنهم يشبون متأثرين بكل ذلك ، وسيكونون غرسا صالحا يأتي بالثمار الطيبة ، وينشر الخير ويدافع عنه ، ويحمل راية النهضة في شتي مجالاتها . وعلي كل مسلم أن يسهم في ميدان التقويم ، تقويم النفوس ، وإسداء النصح الخالص

الهادف ، وإزالة ما في المجتمع من فساد ، ومقاومة الانحراف ، ودفع الشـــر ومحاربته ، وبهذا التعاون الشامل بين الدعاة والآباء والأمهات والمواطنيـــن ، تعود المياه إلى مجاريها ، وتصحح الأوضاع ، ويزول غبار الفساد وتســـتقيم النفوس ، وينهض المجتمع ، وتسمو الأرواح وترتفع راية الإسلام خفاقـــة ، ويكون المسلمون قوة كبري فوق الأرض ، وإنه لمن الخطأ الكبير ، أن نترك الشباب يقلدون غيرهم تقليدا أعمي من غير تبصر ولا تدبر ، وندعهم فريســة لهذا التقليد الضار ، الذي يأتي بأسوأ النتائج وأوخم العواقب .

وأعود فأكرر بأن الآباء والأمهات عليهم عبء كبير في التربية الحسنة، ولهذا يجب أن يكونوا مرآة صافية أمام أبنائهم وبناتهم ، والأم مسئوليتها كبيرة في ميدان التربية ، لأنها ألصق الناس بالذرية في فترة الصغر ، ولذا فقد قيـل عنها : بأنها المدرسة الأولى ، فإذا أعدت إعدادا سليما مبنيا علـــي الأخـــلاق والدين والمعرفة ، أعدت هي بالتالي شعبا قويا عزيزا سعيدا طيب الأعراق ، وصدق الشاعر حيث قال : -

الأم مـــدرسة إذا أعددتها ... أعددت شعبا طيب الأعراق

وتلك نصيحة نوجهها إلى الفتاة في هذا العصر ، وهي أن تعلم كل العلم أن جمالها الحقيقي في أخلاقها الفاضلة ، فهي أعظم حلية لها ، وأفضل وسام،

ولذا يجب عليها أن ترتدي رداء الخلق الكريم ، وتتشح بوشاح العفـــة ، وأن تحافظ علي نفسها من الذئاب البشرية التي كثرت في هذا الزمن ، وعليــها أن تعلم أن جمال الخلقة لم تخلق للعبث ، ومن الضرورة بمكان أن تستتر عـــن أعين العابثين ، والنظرات الطامعة ، والنفوس الماجنة ، وأن تعلم الفتـــاة أن الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ نزل عليه القرآن الكريم ليقرر أن الحجاب أمر ديني وواجب شرعي ، وذلك في قول الله تعالي :

﴿ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن علي جيوبهن[٣] ﴾

وهناك أمر إلهي قرآني بالحياة في إطار الأدب، والتزام البيوت وعدم التبرج في الشوارع كما كانت الحال في عهد الجاهلية ، وبإقامـــة الصـــلاة ، وأداء الزكاة ، وطاعة الله ورسوله ، وهذا الأمر لنساء الرسول ولغيرهن مـــن نساء الأمة المحمدية ، وتلك هي الآية التي جاءت في هذا الشأن :

---

[٣] ــ سورة النور : ٣١ .

﴿ وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ، وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله (٤) ﴾

إن زوجات الرسول – عليه الصلاة والسلام – وهن العفيفات الطاهرات ، العابدات القانتات ، اللاتي بلغن القمة في سمو الأخلاق ، والحياء والأدب ، والتحلي بالفضائل الإيمانية ، إنهن مع وصولهن إلى هذه المرتبة العالية قد أمرن من قبل الله تعالي بما جاء في الآية السابقة من سورة الأحزاب ، ومن باب أولى أن ينفذ هذا الأمر الرباني بالنسبة لنساء زماننا ، إذ إن نساء هذا الزمن بلغن مرحلة يندي لها جبين الإنسانية ، وتذوب من هولها النفوس ، وتدمع العيون من رؤية ما يحدث من مفاسد ، ففي المصايف بلاء كبير ، وشر مستطير ، ويتمثل ذلك في المصائب التي تحدث ، من استهتار وخلاعة وتبرج وسوء أدب ، وهناك في الطرقات أيضا سفور صارخ ، وتبرج فاضح، مما يذيب النفوس حسرة ، ويدمي القلوب من هول ما يظهر كل يوم من ألوان الإثارة .

---

(٤) – سورة الأحزاب : ٣٣ .

إن كثيرات من النساء قد فضحن أنفسهن ، وأسأن إلى دينهن ، وظهرن بصورة بشعة تغضب الله وترضي الشيطان ، وهن بهذا السلوك الشائن يعتدين علي القيم الأخلاقية ، ويلطخن حياتهن بالفضيحة والعار ومن هنا كانت النكسة التي حلت بالمسلمين ، فبعد العزة صارت الذلة ، وبعد التقدم صار التـأخر ، وبعد النهضة كان التقهقر ، وهذا عبد الله بن مسعود يقول عـن رسـول الله صلي الله عليه وسلم : إن المرأة عورة ، فإذا خرجت من بيتـها استشـرفها الشيطان وإن أقرب ما تكون من رحمة ربها وهي في عقر بيتها(٥).

وقد حدث في عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليـه ، أن أرسـل النساء إليه زعيمة تطالب ببعض حقوقهن ، وكانت هذه الزعيمة أسماء بنـت يزيد الأنصارية ، فجاءت للرسول وهو بين أصحابه ، وقالت له : بأبي أنـت وأمي يا رسول الله ، أنا وافدة النساء إليك ، إن الله ـ عز وجل ـ بعثك إلـى الرجال والنساء ، فآمنا بالله وبرسالتك كما آمن الرجال ، وإنا جماعة النسـاء محصورات مقصورات ، قواعد بيوتكم ، ومقضـي شـهواتكم ، وحـاملات صبيانكم ، وإنكم جماعة الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعـات ، وعيـادة المرضي ، وحضور الجنائز ، والحج ، وأفضل من ذلك الجهاد في سـبيل الله وإعلاء كلمة الله ، وإن الرجل إذا خرج منكم للحج أو العمرة أو الجهاد حفظنا

---

(٥) ـ عقر : داخل ، الحديث حسن غريب .

لكم الأموال ، وغزلنا لكم الثياب ، وربينا لكم الأولاد ، أفلا نشارككم في هـذا الثواب ؟، فقال لها النبي ـ صلي الله عليه وسلم ـ:

**(( اعلمي أيتها المرأة وأعلمي من خلفك ، أن حسن تبعل المـرأة لزوجـها ورضائه عليها ، واتباعها موافقته يعدل ذلك كله )).**

فانصرفت المرأة وهي فرحة ، ثم نزل قول الله تعالي يخاطب الجنسين :

﴿ للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليما[٦] ﴾

إن الفساد قد كثر وعم ، وإن التبرج وإظهار مفاتن الجسم من النساء قد زاد عن الجاهلية الأولى ، ولا أقول كل النساء ، فمنهن الفضليات التقيات ، العابدات المستورات ، اللائى يزينهن الحياء ، ويخفـن مـن الله ويخشـينه ، ويعشن في إطار العفة والأدب ، فلا سفور منهن ولاهن كاسيات عاريـات ، وإنما هذا الصنف من النساء ، يبتعدن عن الأمور التي تغضب الله ، والديـن الحي في قلوبهن ، ولديهن التزام دقيق بما جاء به الإسلام من تعليمات ، فهن نماذج عالية في الأخلاق الكريمة ، وأمثلة رائعة في مسيرة حياتهن ، الزاخرة بالفضائل ، المبنية علي الخوف من الله تعالي . أما الصنف الآخر الذي يمثـل

---

(٦) ـ سورة النساء : ٣٢ .

من يعشن في ظل الاستهتار، ويسئن إلى دين الإسلام ، بتصرفاتهن الشيطانية، وسلوكهن الماجن ، ولبسهن الملابس الشفافة القصيرة ، التي تشـــمئز منـــها النفوس النقية التقية ، فهؤلاء وأولياء أمورهن ومن ينظر إلى من خلعن برقـع الحياء ، مسئولون مسئولية كبري أمام الله ، في يوم شديد رهيب ، عصيـــب مخيف ، لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، وعمل صـــالح يرضي عنه الله . وتلك بعض الأحاديث النبوية التي تعطينا العبرة ، وتبين ما يترتب علي سوء الخلق ، من مصير سيئ ، وعاقبة وخيمة ، وهذا هو أبـــو هريرة ـ رضي الله عنه ـ يقول: قال رسول الله ـ صلي الله عليه وسلم ـ:

**(( صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربـــون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات ، رؤوســـهن كأســـنمة البخت المائلة [٧]، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد مـن مسيرة كذا وكذا [٨] )).**

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ـ صلي الله عليه وسلم ـ يقول :

---

(٧) ـ الإبل .

(٨) ـ أخرجه مسلم .

**(( كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الإمام راع ومسئول عن رعيتـــه ، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجـها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيدة ومسئول عن رعيته[٩] )).**

وعن عائشة ــ رضي الله عنها ــ أن أسماء بنت أبى بكر دخلـــت علي رسول الله ــ صلي الله عليه وسلم ــ وعليها ثياب رقاق ، فأعرض عنها رسول الله ــ صلي الله عليه وسلم ــ وقال : **(( يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يري منها إلا هذا وهذا وأشار إلى وجهه وكفيه))**[١٠]

إن هذه النصوص النبوية فيها توجيه عظيم من رسول الله ــ صلـــي الله عليه وسلم ــ لنساء الأمة الإسلامية ، وإلي كل من يتحمل المسئولية ، ولو أن كل رجل وكل امرأة علي مستوي تلك المسئولية التي قررها الرسول لكان الخير كله ، ولو أن كل فتاة وعت هذا التوجيه المحمدي لســـادت الأخـلاق الكريمة ولحسن حال الأمة ، وإنه لمما يجر إلى الهاويـــة ، ذلـك الاختـلاط المذموم ، الذي كان سببا في وجود كثير من الأزمات الاجتماعية التي يعـاني منها كثير من الأسر ، فإذا وجد الرجل امرأة أجمل من امرأته فـــإن مـــيزان عقله يختل ، ونتيجة لهذا يسيء إلى زوجته ، ويفتعل معها المشاكل ، ويحـول

---

(٩) ــ مرفوع متصل .

(١٠) ــ مرفوع متصل .

بيت الزوجية إلى جحيم ، وقد يتزوج علي امرأته امرأة أخـــرى ذات جمـــال وهنا يحدث التخلخل في بناء المجتمع ، ومالا تحمد عقباه من وجود مشـــاكل كثيرة ، كذلك الشأن بالنسبة للمرأة ، فإنها إذا وجدت رجلا في هـــذا الحفـــل أفضل من زوجها ، فإنها تميل إليه وقد تحدث بينها وبينه علاقات غراميـــة ، واتصالات مريبة ، وقد يتزوج بها أو تكون بينهما خيانة لبيت الزوجية ، وفي ظل هذه التصرفات تكون الذرية ضحية ما يحدث ، ويكون ذلك السلوك علـــي حساب المجتمع ، حيث يكون عرضه للهزات العنيفة ، والنتائج المخيفة .

وإذا فالاختلاط المذموم البعيد عن الأخلاق الكريمة يؤدي إلـــى الشـــر والبلاء . وإن مما يدعو إلى الرثاء والعجب ، أن بعض النساء يكن في البيـت مستورات بملابس طويلة غير قصيرة ولا شفافة ، وحين يخرجن إلى الشارع يرتدين ملابس تظهر مفاتن الجسد ، وتبرز ما يجب أن يكون مســتورا عــن الأعين ، وبالإضافة إلى هذا فمشية خليعة ، وسير مختل ، ومما يساعد علــي ذلك تلك الأحذية التي لها كعب عال ولها صوت يلفت نظر من يسمعها ، ثــم بعد هذه الرحلة الشيطانية ترجع المرأة إلى بيتها وهي منهكة الجسم ، وعندمـا يطلب الزوج من هذه المرأة التي بهذه الصورة حقا له ، ترد عليه ردا ســيئا وتقول له : أنا متعبة ، وهي بهذا التصرف قد ارتكبت جرمين ، أما الجـــرم الأول : **فخروجها من غير إذن زوجها وبهذه الصورة التي ســبق ذكرهــا والتي أتعبتها بسبب اللف والدوران هنا وهناك ، وأما الجرم الثاني فهو عدم إعطاء الزوج حقه في المنزل .**

إن الاختلاط المذموم ، وإن السير في الشوارع بصـــورة مهينـــة ، كلاهما يؤدي إلى الضرر البالغ ، والعواقب السيئة ، وإن الإسلام لكي يكـــون المجتمع سليما معافى قويا شامخا ، قرر للزوج حقوقا علي امرأته ، وقـــرر كذلك للزوجة حقوقا علي زوجها ، وهذه الحقوق محكومة بالسمو الأخلاقـي ، ومقصود بها الحفاظ علي المجتمع ، فإذا أدى كل من الزوجين الحقوق التـــي قررها الإسلام تجاه كل منهما ، كان ذلك خـــيرا وبركـــة علـــي الإنســـانية والمجتمعات ، وكانت الحياة الزوجية مستقرة هانئة سعيدة .

إن التاريخ قد سجل لنساء فضليات سمو أخلاقهن وورعهن وطهرهن وعفتهن ، واعتز بهن كل الاعتزاز ، وقدرهن كل التقدير : ومنهن : الســـيدة خديجة ــ زوج الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ، تلك التي تحلت بمكـــارم الأخلاق، وعاشت مع الرسول علي بساط الصـــدق والأمانـــة والإخـــلاص ، وواسته ووقفت بجواره في أحلك الظروف وأشد الأزمات ، تسري عنه بمـــا يدخل السرور علي قلبه ، من العبارات الجميلة المريحة للنفس ، وهي التـــي قالت له :

(( والله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمـــل الكـــل ، وتكســـب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين علي نوائب الدهر )) .

وهي التي وضعت مالها تحت يدي الرسول ، وقـــد نـــالت شـــرف السبق في اعتناق الإسلام ، ومآثرها كثيرة ومحامدها غزيرة .

وتلك هي السيدة عائشة ــ رضي الله عنها ــ التي نزل جبريل من السماء بصورة لها في حزقة من حرير خضراء إلى الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقال له : هذه زوجتك في الدنيا والآخرة . وكان أكابر الصحابة، يسألونها عما هم في حاجة إليه من أمور الدين لأنها كانت على جانب كبير من العلم والفقه ، قال عنها عطاء :

ــ كانت عائشة من أفقه الناس وأحسن الناس رأيا في العلم .

وقد نزل القرآن الكريم بآيات في حقها ، تبين طهرها وعفافها وحسن أخلاقها ، وتدين أشد الإدانة من اختلقوا حديث الإفك عليها ، وتنذرهم بأسوأ العواقب في الآخرة ، حيث العذاب الأليم والعقاب الشديد من الله تعالي .

وتلك هي السيدة رابعة العدوية ، التي نذرت حياتها في طاعة الله وعبادته ، وعاشت في حب الله ، وأفنت عمرها فيما يرضي الخالق ، وكانت من النماذج الممتازة في ميدان الحب في الله والعبودية الحقيقية لله ، وتلك كلمات جميلة نطق بها لسانها وهي :-

| | |
|---|---|
| كلهم يعبدونك خوف نار | ويرون النجاة حظاً جزيلاً |
| أو بأن يسكنوا الجنان | فيحظوا بالقصور ويشربوا السلسبيلا |
| ليس في الجنان والنار حظ | أنا لا أبتغي بحبي بديلا |

وهناك نساء أخريات فضليات ، ومنهن من جاهدن في سبيل الله ، ومن كن يداوين الجرحى ويسعفن المرضي ، ويطعمن الجوعى ، ويقمن بإعداد الطعام للمجاهدين ، وفضلا عن ذلك يعشن في إطار الأخلاق الدينية .

وهذا مشهد رائع يبين ما كانت عليه المرأة في صدر الإسلام ، حيث قد أشيع في غزوة أحد أن الرسول ــ عليه السلام ــ قتل ، وكــثر الصــراخ بالمدينة ، وخرجت امرأة من الأنصار لتتعرف أخبار الرســول ، فاســتقبلت بأخيها وابنها وزوجها وأبيها قتلي ، وكلما مرت علي واحد مــــن الصحابــة صبّرها ، استُقْبِلتْ هذه المرأة بهذا الخبر المفجع ، ولكنها مع هــذا تريــد أن تطمئن علي حياة رسول الله ، وتابعت سيرها حتى وجدت نفسها أمام الرسول عليه السلام ، وعندئذ قالت له : بأبي أنت وأمي يـــا رســول الله ، إنـــي لا أبالي[11] إذا سلمت من عطب [12].

وهكذا كان الحرص علي حياة رسول الله ، وهذه المرأة كـــان كــل هدفها أن يكون الرسول سليماً ، لأنه بسلامته وحياته يسلم ويحيا الدين ، أمـــا من قتل من أهلها فهم نالوا الشهادة وشرفها ، وهم أحياء عند ربهم يُرزقون .

وقد يفهم البعض بأن الإسلام يأمر المرأة أن تكون قعيــدة البيــت لا تغادره ، وتظل حبيسة فيه لا تفارقه ، وليس الأمر كذلـــك ، إذ الإســلام لا يمنعها من الخروج والعمل ، ولكن في حدود الفضيلة والأدب والحياء ، ولقــد كان رسول الله ــ صلي الله عليه وسلم ــ يُرِيَ عائشة ــ رضي الله عنــها ــ رجال الحبشة وهم يلعبون في المسجد يوم العيد ، والمرأة إذا تذوقت حــلاوة

---

(11) ــ لا أهتم .

(12) ــ هلاك .

الإيمان، وجدت فيه ما يجعلها تعتز به كل الاعتزاز ، لأنه يحرص علـــي أن تعيش في ظل الكرامة والشرف والسعادة ، ويعمل علي إحاطتها بسياج مـــن الفضيلة والاحترام ، وهو يحافظ عليها كل المحافظة ، لتكون مصونة غــــير مهانة ، وفي الصورة الطيبة المتألقة ، والمرأة في نظر الإسلام لـــها قيمتـــها ومنزلتها ، ولذا فهو لا يريد لها أن تمتهن ، ويعمل بشتي الوسائل علي الأخـذ بيدها إلى ما فيه الخير لها ، لأنها هي التي تعد النشء ، وهي المصدر الـــذي يزود الوطن بمن يدافعون عنه ويذودون عن حياضه ، ويعملون علي رفعتـــه ونهضته ، إن الأم هي المدرسة التي يتخرج منها الأبطال ، وبإعدادها الإعداد السليم يكون الوطن في أكمل سعادة وأوفر قوة .

والشباب الذين هم نتاج الأمة ، والذين ربوا علي التحلـــي بالفضـــائل ، ووجهوا التوجيه السليم ، هم الذخيرة الوطنية ، وهم أمل الأمة ، وهـــم أهـــل لرضا الله ، ماداموا يعيشون في ظل الاستقامة ، ويـــؤدون واجبـــهم دينيـــا ودنيويا ، ويتمسكون بدينهم ويدافعون عنه ..

إنهم والحال هذه هم أعظم ثروة ، وحياتهم تكون طيبة في الدنيا وفـــي الآخرة ، ويجزون من الله بأحسن الجزاء ، ومصداق ذلك قول الله تعالي :

﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون [13] ﴾

إنه الإيمان الذي يقود إلى النجاح ، مادام مصحوبا بالعمل الصالح ، وبهما معا – الإيمان والعمل الصالح – نذلل الصعاب ، ويثبت قلب المؤمن ولو تزلزلت أمامه جبال الدنيا الراسيات ، ومن واجب الشباب نحو دينهم وبلادهم وأعراضهم أن يجاهدوا كل الجهاد ، إذ هم سلاح الأمة ، وبهم تأخذ الأمة حقوقها وتقهر أعداءها ، وليعتصموا بحبل الله جميعا ، وليضعوا نصب أعينهم قول الرسول القائد : ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا ( ١٤ ).

وليتذكروا موقفه ــ عليه السلام ــ في معركة هوازن ، وقد فاجأت قبيلة هوازن المسلمين بالهجوم ، لأن عددها قليل ، أما المسلمون فهم كثرة ، ومن هنا كانت المباغتة ، وحين علم الرسول بما حدث ، جهز جيشا من المسلمين بسرعة ، وكان تعداده حوالي اثني عشر ألفا ، وسار الجيش وعلي رأسه القائد ــ محمد عليه الصلاة والسلام ــ ، وتوجهوا إلى واد يسمي جنين، وبدأت المعركة وكانت هوازن ماهرة في الرماية بالسهام والنبال ، واحتلت مراكز ممتازة فوق التلال والمرتفعات ، ولم يتحمل المسلمون عنف القتال

---

[13] ــ سورة النحل : ٩٧ . [14] ــ مرفوع متصل .

وشدته ، فرجعوا إلى الوراء ، وأدي رجوعهم إلى الاضطراب في صفوفهم ، وعندما رأي الرسول جيش المسلمين يرجع إلى الوراء ، ثبت في مكانه المحفوف بالمخاطر ، وكان العدو يتقدم بسرعة ولكن لم يؤثر ذلك في الرسول — عليه السلام — ، لأنه يعلم بأن الله مع الحق ، وبعد ذلك أخذ الرسول ينادي بأعلى صوته : (( **أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب** )).

ونادي العباس بصوته الجهوري :

— يا معشر الأنصار الذين آووا ونصروا ، يا معشر المهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة ، إن محمدا حي فهلموا ، وكرر العباس النداء مرات ، فأجاب المسلمون من كل جانب لبيك لبيك ، وعادت جموع المسلمين من جديد ، فلم يستطع العدو الثبات أمامهم ، وفر هاربا بعد هزيمة ساحقة ، وفي ذلك نزل القرآن الكريم بقول الله تعالي :

﴿ ولقد نصركم الله في مواطن كثيرة ، ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما

رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا ، وذلك جزاء الكافرين [١٥] ﴾ .

إن الإسلام يدعو شبابه وأبناءه المسلمين أن يكونوا جنودا مستعدين للدفاع عن دينهم ووطنهم ، باذلين أموالهم ودماءهم في سبيل كرامتهم وعزتهم، وليعلموا أن النصر مع الصبر ، والجندي الصبور يستمر في الجهاد موقنا بالنصر مذللا أسبابه ، والأمة التي تريد الحياة الحرة الكريمة ، تغالب الشدائد ، وتبعد اليأس عنها ، لأنه لا معني للحياة مع اليأس ، ولا معني لليأس مع الحياة .

ومن أسباب قوة العقيدة الدينية المحافظة علي الصلاة في أوقاتها قال تعالي :

﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين [١٦] ﴾

ولكي تكون المحافظة متحققة ، لابد أن يكون هناك بعد عن اللهو واللعب ، حيث إن اللهو يبعد الإنسان عن واجبه ويضله في حياته ، قال تعالي :

﴿ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله [١٧] ﴾

ومن أسباب النصر ضد النفس وأعداء الدين تعطير الألسنة بترتيل القرآن الكريم ، قال تعالي آمرا بقراءة القرآن:﴿ ورتل القرآن ترتيلا (١٨) ﴾

---

(١٥) ــ سورة التوبة : ٢٥ ــ ٢٦ .

(١٦) ــ سورة البقرة : ١٣٨ .

(١٧) ــ سورة لقمان : ٦ . ( ١٨ ) ــ سورة المزمل :٤.

والدعاء بحفظ القرآن الكريم ، وقد ورد في السنة عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ قال:

ــ بينما نحن عند رسول الله ــ صلي الله عليه وسلم ــ إذ جاءه علي بن أبي طالب ــ كرم الله وجهه ــ فقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله : تفلت هذا القرآن من صدري ، فما أجدنى أقدر عليه ، فقال له رسول الله ــ صلي الله عليه وسلم :

ــ يا أبا الحسن ، أفلا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن وينتفع بهن من علمته ، ويثبت ما تعلمت في صدرك ؟

قال : أجل يا رسول الله فعلمني : قال :

**(( إذا كان ليلة الجمعة فإن استطعت أن تقوم في ثلث الليل الأخير فإنها ساعة مشهودة والدعاء فيها مستجاب ، وقد قال أخي يعقوب لبنيه : سوف أستغفر لكم ربي، يقول : حتى تأتي ليلة الجمعة ، فإن لم تستطع فقم في وسطها فإن لم تستطع فقم في أولها ، فصل أربع ركعات ، تقرأ في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وسورة يس ، وفي الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وحم الدخان ، وفي الركعة الثالثة بفاتحة الكتاب وألم تنزيل السجدة ، وفي الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك الملك ، فإذا فرغت من التشهد فاحمد الله وأحسن الثناء علي الله ، وصل علي وأحسن ، وعلي سائر النبيين ، واستغفر للمؤمنين والمؤمنات، ولإخوانك الذين سبقوك بالإيمان ، ثم قل في آخر ذلك : اللهم ارحمني بترك المعاصي أبدا ما أبقيتني ، وارحمني أن**

السموات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام والعزة التي لا ترام ، أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تلزم قلبي حفظ كتـــابك كمـــا علمتنـــي ، وارزقني أن أتلوه علي النحو الذي يرضيك عني ، اللهم بديـــع السـموات والأرض ياذا الجلال والإكرام والعزة التي لا ترام ، أسألك يا الله يا رحمـــن بجلالك ونور وجهك أن تنور بكتابك بصري ، وأن تطلق به لســـاني ، وأن تفرج به عن قلبي ، وأن تشرح به صدري ، وأن تستعمل به بدني ، فإنه لا يعينني علي الحق غيرك ، ولا يؤنسه إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بـــالله العلي العظيم ، يا أبا الحسن ، تفعل ذلك ثلاث جمع ، أو خمساً ، أو سبعاً ، حتى جاء رسول الله صلي الله عليه وسلم في مثل ذلك المجلس ، فقال : يـــا رسول الله ، إني كنت فيما خلا ، لا آخذ إلا أربع آيـــات ونحوهـــن ، فـــإذا قرأتهن علي نفسي تفلتن ، وأنا أتعلم اليوم أربعين آية ونحوها ، فإذا قرأتها علي نفسي فكأنما كتاب الله بين عيني ، ولقد كنت أسمع الحديث فإذا رددته تفلت ، وأنا اليوم أسمع الأحاديث التي تحدثت بها لم أخرم منها حرفاً ، فقال رسول الله ــ صلي الله عليه وسلم ــ عند ذلك ، مؤمن ورب الكعبـــة أبـــا الحسن... رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديـــث الوليد بن مسلم ، ورواه الحاكم وقال : صحيح علي شروطهما ، إلا أنه قال: لا يقرأ في الثانية بفاتحة الكتاب ، وألم السجدة ، وفي الثالثة بفاتحة الكتاب، والدخان عكس ما في الترمذي . وقال في الدعاء ، وإن تشغل به بدني مكان " وأن تستعمل " وهو كذلك في بعض نسخ الترمذي ، ومعناهما واحد ، وفي

**بعضها " وأن تغتسل " قال – رضي الله عنه – ، طرق أسانيد هذا الحديث جيدة ومتنه غريب جدا .**

هذا ويجب علي الشاب لينال الخير من ربه ، أن يداوم علي صيام التطوع ، وأن يقتني كل شاب مستطيع مكتبة دينية صغيرة تحتوي علي كتب في التفسير وفي الأحاديث وفي الفقه إلخ ، وأن يكون مرجعه في قراءاته إلى علماء الدين المتخصصين ، ليستفيد منهم ويعمل بقولهم وبرأيهم إذا التبست عليه مسألة ، أو احتاج إلى تبيان أمر صعب عليه فهمه ، وأن يجتمع هو وأهل بيته علي مائدة القرآن والسنة ، وألا يصاحب إلا مؤمنا مثله ، وألا يأكل طعامه إلا تقي ، وأن يبتعد عن الغيبة والنميمة ، وألا يغتر بطاعته ، وأن يدعو بظهر الغيب للمسلمين .

هذه أمور لابد لكل شاب ، وبها تقوي العقيدة الدينية في القلوب ، وتؤتي ثمارها طاعة وعبادة لله ، وبها كذلك يصبح الشباب في وضع كامل مستنير عن أمور دينهم الحقيقية ، فلا يضللون ولا يقعون في شباك الشيطان اللعين ، الذي جند نفسه لغواية الناس وإضلالهم .

# الإيمان الحق

الإيمان الحق هو الذي يجعل المؤمن عادلاً بحيث يكون القريب والبعيد أمام الحق سواء، فلا تفرقة ولا مجاملة ، ولا استثناء ولا ظلم ، لأن الله تعالي عادل ولا يحب الظلم ، وقد نهي عباده عن رذيلة الجور والشطط ، والرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو سفير الله إلى خلقه ، جاءنا بشريعة الحق والعدل ، ولذلك كان لا يهاب أحداً في الحق وتثبيت دعائمه ، وقد بنيت الأمة الإسلامية بناءً قوياً شامخاً ، علي دعائم العدل والحق والخير ، وبهذا كانت رسالته ـ عليه السلام ـ رسالة حق وإنصاف ، وعدل وإقساط ، وأخلاق وفضائل ، وعلم ومعرفة ، وكانت علاجاً لأمراض البشرية ، ودواء لعلل الإنسانية ، وموجهة إلى التحلي بالفضائل التي هي أعظم حلية ، ومنفرة من الرذائل التي تحمل الشر والسوء ، فهي رسالة تهدف إلى إقامة مجتمعات نظيفة ، وقد جاءت لكي تنشر بين الناس المبادئ السامية ، وتأخذ بأيديهم إلى طريق الخير والنور ، وتقودهم إلى الرضا الرباني .

تلك هي بعض السمات لرسالة الإسلام ، وهذه بعض الخصائص لها ، وما أعظمها من سمات ، وما أجلها من خصائص ، وهذه الرسالة كان لها الفضل الأكبر في رفع شأن الإنسانية ، والوقوف مع المظلوم ، ومناصرة الحق ، ودفع الظلم ودحره ، إنها إذا رسالة التحرر من النقائص والمعايب ،

وكيف لا؟! ، وهي الرسالة الخاتمة ورسولها هو الرسول الخاتم ، وقد ارتضاها ربنا لكل الخلق ، يدل علي ذلك قول الله تعالي :

﴿ إن الدين عند الله الإسلام [١] ﴾ وقوله تعالي :

﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين [٢] ﴾

وبهذا الدين الخاتم نسخت جميع الأديان ، فلا دين يقبل سوي الإسلام ، وقد امتاز هذا الدين الإسلامي بالشمولية والصلاحية لكل زمان ومكان ، وهذه العقيدة الإيمانية واضحة كل الوضوح ، وهي مبنية علي اليسر والسهولة وعدم التعسير ، ولا إرهاق في تشريعاتها ، وهي بالإضافة إلى هذا تهدف إلى سعادة الإنسان دنيا وأخرى ، وتحث علي عمارة الأرض والسعي في مناكبها ، وتوجه المسلم إلى العمل من أجل الدارين .

فهي ليست للآخرة فقط ، ولا للدنيا فقط ، ولكنها شاملة هذا وذاك . والمسلمون الأوائل كانوا مؤمنين بحق ، وكانوا حريصين كل الحرص علي أن يكونوا مثاليين في إيمانهم ، نموذجيين في سلوكهم ، قائمين بواجباتهم ، منفذين بدقة أوامر ربهم ، تائبين عن المعاصي ، زاهدين في متاع الدنيا الفاني، ولم يكن هذا الزهد لأنهم لم يجدوا ما ينفقون ، وإنما لإدراكهم أن متاع

---

[١] ـ سورة آل عمران : ١٩ .

[٢] ـ سورة آل عمران : ٨٥ .

الدنيا قليل وزائل ، وأن الآخرة خير لمن اتقي ، وقد وضعوا نصب أعينهم قول الله تعالي :

﴿ قل متاع الدنيا قليل ، والآخرة خير لمن اتقي [٣] ﴾

والرسول ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ هو المثل الأعلى والأسوة الحسنة للصحابة ، في الزهد والرضا ، والصبر والقناعة ، وفي جميع الميادين التي تُرضي رب العالمين ، وهذا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يدخل علي رسول الله صلي الله عليه وسلم يوماً من الأيام فرآه نائماً علي حصير قد أثر في جبينه الشريف ، فقال له : يا رسول الله ، ألا آذنتنا حتى نبسط لك علي الحصير شيئا ، فقال رسول الله ــ صلي الله عليه وسلم ــ : ــ مالي وللدنيا ، إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب نام تحت شجرة ثم راح وتركها . ( حديث صحيح )

وكان ــ عليه السلام ــ يعطي عطاء من لا يخشي الفقر ، وقد توفي وليس عنده درهم ولا دينار ، جاءه مرة مال كثير فأنفقه إلا بضع دريهمات لأنه لم يجد لها طالبا ، فما طرق تلك الليلة النوم عينه قلقا بما بقي عنده ، وكان عليه السلام أجود بالخير من الريح المرسلة ، وتلك موعظة

[٣] ــ سورة النساء : ٧٧ .

نبوية يسوقها الرسول إلى أصحابه ، حيث إنه جلس في المسجد يوما ، وقـــال لأصحابه خوفا عليهم وشفقة بهم :

**(( كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم ، هو الفصــــل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغي الهدي في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشـــبع منـــه العلمـــاء ، ولا تنقضي عجائبه ، وهو لم ينته الجن إذ سمعته حتى قالوا :**

﴿ إنا سمعنا قرآنا عجبا ، يهدي إلى الرشد فآمنا به ، ولن نشرك بربنا أحدا[٤] ﴾

**فمن قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم .**

إنها الموعظة الحسنة التي تركت في النفوس أطيب الأثر ، وكـــانت خيرا وبركة علي صحابة الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ ، وغذت قلوبهم ، وسمت بأرواحهم ، وهكذا تكون شريعة الإسلام ، مصدر توجيه وإرشـــاد ، وتنوير وتبصير ، وإخاء ومحبة ، ومن هنا كان الصحابة يحملون في قلوبـــهم عقيدة مشرقة ، وكانت تنعكس آثارها علي ســـلوكهم وتصرفاتـــهم ، وهـــي

---

(٤) ــ سورة الجن : ١ ، ٢ .

انعكاسات إيجابية بناءة ، جعلت الصحابة في القمـــة معرفـــة بـــالله وتعلقـــا بتوجيهات الرسول الذي لا ينطق عن الهوى وإنما هو وحي الله إليه ، ولقـــد كان الرسول ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ يمدح أصحابه ويثني عليهم ، في الجوانب التي لفتت الأنظار إليها ، ولذا قال :

**(( أرحم أمتي بأمتي أبو بكر ، وأقواهم علي دين الله عمر ، وأصدقهم حياء، عثمان ، وأقضاهم عليّ بن أبي طالب ، وأقرأهم أُبّي بن كعب ، وأفرضـــهم زيد بن ثابت ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر ، ولكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح )).**

وروي عن رسول الله ــ صلي الله عليه وسلم ــ أنه قال :

(( حق علي العاقل أن يكون له أربع ساعات ، ساعة يحاسب فيـــها نفســه ، وساعة يناجي فيها ربه ، وساعة يفضي فيها إلى إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ويصدقونه عن نفسه ، وساعة يختلي فيها بين نفسه وبين لذاتها فيمـــا يحـــل ويحرم ، فإن هذه الساعة عون له علي هذه الساعات ، وإجمام للقلوب، وحق علي العاقل ألا يفطن إلا في إحدى ثلاث : ــ زاد لمعاده ، ومرمة لمعاشـــه ، أو لذة في غير محرم ، وعلي العاقل أن يكون عارفاً بزمانه ، مالكاً للســـانه ، مقبلاً علي شأنه )). ( صحيح ).

إن المؤمنين الأوائل كانوا لا يزهدون عن فقر ، ولا ينفقون ابتغاء الجزاء من الناس ، ولا يحاربون من أجل الشهرة ، وإنما كان كل ذلك ابتغاء وجه الله وفي سبيل الله وامتثالاً لأمر الله ..

وخير الناس من قصد بعمله وجه الله ، وبناه على الإخلاص التام ، ونقاه من الشوائب التي تحبط ثوابه ، وفي ذلك يقول الرسول ــ صلي الله عليه وسلم ــ :

**(( خير الناس منزلة يوم القيامة ، رجل آخذ بعنان فرسه في سبيل الله يخيف العدو ويخيفونه))** [٥] ... وفي رواية أخرى " **حتى يموت أو يقتل** " **والذي يليه رجل معتزل في شعب من الشعاب يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ، ويعتزل شرور الناس )) وهذا لقمان الحكيم يقول لابنه :**

ــ ثلاثة لا يُعرفون إلا في ثلاثة مواطن : لا يعرف الحليم إلا عند الغضب ، ولا الشجاع إلا عند الحرب ، ولا الأخ إلا عند الحاجة .

إن الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ كانوا يقتبسون من شخصية الرسول ما تتحلي به من كمالات وفضائل ، ولذلك فهم كانوا قدوة في حياتهم وبعد مماتهم لغيرهم .

---

[٥] ــ مسند أحمد ( سند الحديث مرفوع متصل ).

يقول عمر بن الخطاب ما يدل علي شدة اعتزازه بالإسلام ، وعـــدم اهتمامه الكبير بزخارف الدنيا يقول بعدما دخل الشام وعوتـــب علـــي عـــدم الاهتمام بزخارف الدنيا :

( إنا قوم أعزنا الله بالإسلام فلا نطلب العزة في غيره )

وتقول حفصة ــ رضي الله عنها ــ يوما لعمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ بعد أن وسع الله عليه وعلي المسلمين الرزق ، وتدفقت الأمـــوال الكثيرة علي المدينة : ــ يا أمير المؤمنين : لو اكتسبت ثوبا هو أليـــن مـــن ثوبك، وأكلت طعاما هو أطيب من طعامك ، فقد وســـع الله الـــرزق وأكـــثر الخير، فقال لها :

ــ إني سأخاصمك إلى نفسك ، أما تذكرين ما كان رســـول الله ــ صلـــي الله عليه وسلم ــ يلقي من شدة العيش ، وكذلك أبو بكر فما يزال يذكرها حتـــى أبكاها ، ثم قال لها : أما والله لأشاركنهما في مثل عيشهما الشديد لعلي أرضي عيشهم. ويقول أبو الدرداء :

ــ اعلم أن لله عبادا يقال لهم : الأبدال – خلف من الأنبياء – فلمـــا انقضـــت النبوة أبدل الله مكانهم قوما من أمة محمد ــ عليه السلام ــ، لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولا حسن خلقة ، ولكن بصدق الورع ، وحسن النيـــة ، وسلامة الصدر لجميع المسلمين ، والنصيحة لـــهم ابتغـــاء مرضـــاة الله ، لا

يحسدون أحدا ولا يحرصون علي الدنيا ، صفتهم السلامة ، ليسوا اليوم فـــي خشية ، وغدا في غفلة ، ولكنهم مداومون علي حالهم الظاهر فيما بينهم وبين ربهم ، قال تعالي : ﴿ أولئك حزب الله ، ألا إن حزب الله هم المفلحون[٦] ﴾

وهم الذين قال الله فيهم : ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون [٧] ﴾

وكما اقتبس المسلمون من قائدهم الأعظم اقتبست المسلمات أيضـــا منه ــ عليه السلام ــ، وكان إيمانهن عقيدة حية فـــي القلـــوب ، مصحوبـــة بالعمل الصالح ، وبعيدة عن العمل الطالح ، وكن علي جـــانب كبـــير مـــن المعرفة بالله والتقرب إليه بكل ألوان العبادة ، ومنهن من كان سببا في إســـلام الرجال ، وكان إسلاما نقيا قويا ، وفي هذا الشأن تقدم أبو طلحة الأنصـــاري إلى أم سليم طالبا منها خطبتها ، وكان ذلك قبل إسلامه ، فتقول له أم سـليم : إني فيك لراغبة وما مثلك يرد ، ولكنك امرؤ كافر ، فإن تسلم فذلك مـــهري منك لا أسألك غيره . قال أبو طلحة لها : فمن لي بذلك ؟ قالت : النبي صلـي الله عليه وسلم ، فانطلق يريده ، وما كادت عين الرسول ــ صلي الله عليـــه وسلم ــ تقع عليه حتى قال لأصحابه :

---

(٦) ــ سورة المجادلة : ٢٢ .

(٧) ــ سورة النحل : ١٢٨ .

ـــ جاءكم أبو طلحة وغرة الإسلام بين عينيه .

وهكذا تم زواج أبي طلحة لأم سليم علي ذلك ، وليس في الإســـلام مهر أفضل من مهر أم سليم ، وكان ذلك الرجل الذي أسلم علي يد تلك المرأة أعظم الصفات في الإسلام ، حيث كان من أبرز أصحاب رسول الله ــ عليـه الصلاة والسلام ــ ، وقد حضر غزوة بدر ، وله مناقب كثيرة ، وقال عنـــه الرسول " لصوت أبي طلحة في الجيش خير من مائة رجل ..

هذا هو حال المرأة في الإسلام ، إنها كانت تدعو الناس إلى الدخـول في الإسلام ، الذي دعا إليه رسول الله وما أعظم ما قامت به أم ســـليم مـــن سخائها بصداقها الذي جعله الله منحة لها في سبيل إعـــلاء كلمـــة الله وعـــز الإسلام، وهذا هو ذو البجادين كان يتيما فكفله عمه ، وقد نازعته نفسه إلـــى اتباع الرسول ، فهم بالنهوض فإذا بقية المرض مانعة ، فقعد ينتظـــر العـــم ، فلما تكاملت صحته نفد الصبر . فناداه ضمير الوجد ، فقال : يا عـــم طـــال انتظاري لإسلامك ، وما أري منك نشاطا ، فقال : والله لئن أسلمت لأنـــتزعن كل ما أعطيتك ، فصاح لسان الشوق ، نظرة من محمد أحب إلى من الدنيـــا وما فيها ، فلما تجرد للسير إلى الرسول جرده عمه من الثياب ، فناولتـــه الأم بجادا فقطعه لسفر الوصل نصفين ، ائتزر بأحدهما وارتدي بـــالآخر ، فلمـــا نادي صائح الجهاد قنع أن يكون في ساحة الأحباب ، والمحب لا يري طـــول

الطريق لأن المقصود يعينه، فلما قضي نحبه واستشهد، نزل الرسول ــ صلي الله عليه وسلم ــ يمهد له لحده ، فجعل يقول :

**(( اللهم إني أمسيت عنه راضيا فارض عنه )).**

فصاح ابن مسعود قائلا : يا ليتني كنت صاحب القبر[٨].

كان هذا هو حال المسلمين والمسلمات ، إيمـــان قـــوي ، وســلوك إيماني، مسيرة عطرة ، حب كبير للدين ، عمل جاد للآخرة ، زهد في الدنيــا حياة مع روح الإسلام ، وكانوا كما قال القائل : –

خلــصت نفسي له من كل شائبة

إن عشت أو مت أعضائي توحده

فكيــف أرضي بغيــر الله متجها

والكل والجزء والأعضاء تحمــده

إن الإسلام يفخر بأمثال هؤلاء ، لأنهم أسلموا ولم يكن مـــع محمـد عليه السلام سيف يضرب به أعناقهم حتى يطيعوه صاغرين ، وليس معه مال يرغب فيه حتى يترك هؤلاء دين آبائهم ويتبعوا الرسول فيأكلوا مـــن فضـل ماله، وإنما كان ممن أسلموا من كان واسع الـــثروة كـــأبي بكــر وعثمـــان وغيرهما، ويفتخر الإسلام بالموالي الذين فضلوا الجوع والأذى من ســاداتهم في سبيل الحفاظ علي عقيدتهم ، ولو اتبعوا ساداتهم لكانوا أهدأ بالا وأحســـن

[٨] ــ ابن قيم الجوزية : الفرائد ــ دار الدعوة ــ ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩ / ٣٦٩ .

حالا ، ولكنها الهداية من الله حلت في قلوبهم فاستعذبوا الآلام وتحملوا الصعاب ، وكان إيمانهم إيمانا حقيقيا ، كما يفتخر الإسلام بعلي بن أبي طالب ، الذي ضحي بحياته فداء لرسول الله ، إذ إن الكفار حينما وجدوا أن إيذاءهم لرسول الله لم يؤثر ، ولم يأت بالنتيجة التي يرجونها ، من توقفه عن الدعوة الإسلامية ، لما كان الأمر كذلك ، فقد اجتمعوا في دار الندوة ، وبعد مناقشات وعرض آراء ، اتفقوا أخيرا علي أن يختاروا من كل قبيلة شابا شجاعا ، ومعهم الأسلحة الفتاكة والسيوف البتارة ، وأن يقفوا أمام بيت الرسول ليرقبوا خروجه ، فإذا ما خرج ضربوه جميعا ضربة رجل واحد ، فيقتل ويتفرق دمه في القبائل ، وعندئذ لا يستطيع أهله أن يحاربوا القبائل كلها ويرضوا بالدية ، وقد أخبر الله رسوله بما بيته القوم من غدر ، وأمره بالهجرة في تلك الليلة مع أبي بكر الصديق ، وأمر الرسول ابن عمه عليا لينام مكانه في فراشه ومع أن الأمر فيه خطورة على على لكنه – كرم الله وجهه لم يتردد وقبل عرض رسول الله ونام في فراشه ، وأما الرسول فقد خرج علي هؤلاء الذين عسكروا حول داره وهو يرميهم بحفنة من التراب ويتلو قول الله تعالي :﴿ وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون [٩]﴾

إنها الفدائية المثالية لعلي – كرم الله وجهه –، وإنها التضحية الصادقة من أجل الحفاظ علي حياة رسول الله – صلي الله عليه وسلم – وعلي دعوة الإسلام التي جاء بها من الله .

---

(٩) – سورة يس : ٩ .

ويفتخر الإسلام بأبي بكر الصديق حين رأي المشركين يحومون حـــول الغارَ بحثا عن رسول الله ، وهما في داخله فيشتد خوفــه وحزنـــه ، ويقــول للرسول :

( أنا إن قتلت فإنما أنا رجل واحد ، ولكنك إذا قتلت هلكت الأمة ).

فيقول له المصطفي ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ:

**(( يا أبا بكر " لا تحزن إن الله معنا " )).**

ويفتخر الإسلام بأبي ذر الغفاري ، فقد ورد في رياض السير عنــه ، أن الله لما أراد أن يتبع أبو ذر هدي القرآن ومسلك النبي ــ عليه الســلام ــ، دخل مكة المكرمة سائلا عن النبي الذي جاء بتوحيد عنوانه " عبادة الله وحـده " وعندما دخل مكة توجه إلى البيت الحرام ، وجلس في المسجد مدة طويلـة ، فرآه علي بن أبي طالب ــ كرم الله وجهه ــ، فقال له :

ــ أ غريب الرجل ؟ فقال : نعم ، فقال له علي : اتبعني ، فتبعه إلـــى داره ، وأتي له بطعام وشراب ، وفي اليوم الثالث من الضيافة ، قال له علي : أمـــا آن للضيف أن يعرف منزله ؟ فقال له أبو ذر : أعطني عهدا وميثاقـــا أيـــها الفتي أن تكتم أمري ، ولا تبوح بسر مما سأقصه عليك ، أصدقني القول عــن حقيقة ذلك النبي الذي ظهر عندكم في مكة ، هل هو علي حق أم لا ؟ وهـــل لي من مقابلته والجلوس معه ؟ وعند ذلك تهلل وجه علي بشرا ثم قال لــــه :

لتعلم أيها الأخ العربي ، أن محمدا رسول الله ــ صلي الله عليه وسلم ــ جاء حقا بدين حنيف فيه سعادة الإنسانية كلها لمن عمل بتعاليمه الكريمة القويمة ، ثم قال له علي : سأعمل لك إشارة علي أن تتبعني ، فتبعه أبو ذر حتى دخل علي النبي ــ عليه السلام ــ ، فلما جلس أبو ذر في مجلس النبي ، واستمع إلى الدرر الغوالي النفيسة التي تفيض علي لسان حبيب الله ــ عليه الصلاة والسلام ــ ، عندئذ رفع صوته بالشهادتين ، ثم قال : والله يا رسول الله لأظهرنها بين ظهرانيهم ، فقال له الرسول : لا تفعل ، ولكن قوة الإيمان دفعته إلى أن يخرج من حضرة الرسول ويرفع صوته بالشهادتين أمام الملأ من قريش ، فأشبعوه ضربا ولكما ، وعندئذ جاء العباس بن عبد المطلب ، وأكب عليه ومنع الناس عنه ، وقال لهم : ويلكم يا أراذل قريش ، أتقتلون أميرا من أمراء غفار ؟ حتى ردهم العباس عنه .

ولكن أبا ذر ــ رحمه الله ــ قام بعد هذه الإهانة الشديدة وهو يهتف بالشهادتين ، فقام إليه القوم ثانيا، والعباس يصرخ فيهم ويقول : لو وقع شر لهذا الرجل فأبشروا بالخراب والدمار فستحاصرون وبلدنا هذا منذ القدم كتب الله عليها ألا زرع فيها ..

إن الإسلام يفتخر بهذا الرجل لأنه كان بالإضافة إلى ما سبق رجلا اشتراكيا زاهدا في الحياة ، وقد قال عنه الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ:

(( ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء ، من رجل أصدق من أبي ذر )).

( مرفوع متصل وهو حسن صحيح )

وقد حضر مع الرسول غزوات عديدة ، وكان شجاعا وقيل عنه ، إنه كان ينفرد وحده فيقطع الطريق ويغير علي قطيع الإبل كأنه السبع ، وكان لأبي ذر الحظوة عند النبي ــ عليه الصلاة والسلام ــ، يسال عنه إذا غلب ، ويقربه من مجلسه إذا حضر ، وقد جلس مع الرسول يوما فقال : يا رسول الله أوصني ، فقال له الرسول : (( ( يا أبا ذر لا تخش في الله لومة لائم ) فقال: يا رسول الله زدني، فقال له: قل الحق ولو كان مرا يا أبا ذر: لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف عن الشهوات، ولا حسن كحسن الخلق ))[10].

وبعد أن توفي الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ، استرجع أبو ذر فكره يوم أن جلس مع النبي يستمع إليه وهو يوصيه ، فأخذ به التفكير مأخذه حتى اتجه إلى بيت خليفة رسول الله أبي بكر ، فوجد عنده كثيرا من المسلمين يطلبون منه وقف سير جيش أسامة بحجة أن الأمور قد تبدلت بعد موته عليه الصلاة والسلام ، ولا يعلم أحد ما يستجد من الأمور إذا بلغت أنباء موت الرسول إلى القبائل ، وقد انتظر أبو ذر رد أبى بكر ، وكان علي استعداد كامل لينفذ وصية الرسول عليه السلام بأن يقول الحق ولو كان مرا ، وألا

---

[10] ــ حديث حسن أخرجه أحمد ٥ / ٥٩ ، وابن سعيد ٤ / ٢٢٩ ، سير أعلام النبلاء ٢ / ٦٤.

يخشى في الله لومة لائم ، وكان رد أبي بكر علي قلب أبي ذر برداً وسلاماً ، حيث قال خليفة الرسول :

(( والذي نفسي بيده لو ظننت أن تتخطفني السباع لأنفذت بعث أسامة كما أمر المصطفي ، ولو لم يبق في الناس غيري لأنفذتها ، وقد ارتاحت نفس أبى ذر ولكنه خاف من ابن الخطاب عمر لمعارضته الشديدة ، وبالفعل حضر عمـــر وطلب من الصديق وقف سير جيش أسامة ، فقال له أبو بكر : لو خطفتنـــي الكلاب والذئاب لا أرد قضاء قضي به رسول الله ــ صلي الله عليه وسـلم ــ وعندئذ خرج أبو ذر حامدا ربه ، لأنه هيأ للإسلام خليفة لرسوله ينفذ الأوامر ولا يخشى في الله لومة لائم .

استمر أبو ذر طوال خلافة أبى بكر الصديق يجاهد ويناضل ، ولـــم ينكر علي أبي بكر شيئا ، لأن الصديق ــ رضي الله عنه ــ كان زاهدا فـــي الدنيا ، وكانت خلافته كلها كفاح ، وبعد موت أبي بكر رحل أبو ذر إلى الشام ومعه زوجته وابنه ، ثم رحل عمر ــ رضي الله عنه ــ إلى الشـــام ليتفقـد أحوال رعاياه ، ويستمع لأصحاب الحاجات والشكايات ، فلمح عمر أبـــا ذر فأخذ بيده وعصرها، فقال له أبو ذر دع يدي يا قفل الفتنة ، فقال له عمر : يا أبا ذر وما قفل الفتنة ؟ فقال أبو ذر : جئت يوما ونحن عند النبي ــ صلي الله

عليه وسلم ـ فكرهت أن تتخطى رقاب الناس فجلست في أدبـــارهم ، فقـــال النبي ـ صلي الله عليه وسلم ـ :

**(( لا تصيبكم فتنة مادام هذا بينكم[11] )).**

وأشار عليه السلام إليك ، ثم في عهد عثمان ـ رضي الله عنـــه ـ ظهر نشاط الصحابي الجليل أبي ذر ، وعاد من الشام إلى المدينة ، وفي يـوم من الأيام علم أن عثمان بن عفان أعطي مروان بن الحكم مبلغا كبـــيرا مـــن المال ، وزيد بن ثابت مائة ألف درهم ، والحارث بن أبي العـــاص ثلاثمائـــة درهم ، وعندئذ ذهب إلى المسجد وقرأ فيه علانية قول الله تعالي :

﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم [12] ﴾.

فغضب منه عثمان وقال له : يا أبا ذر ، بلغني عنك أنك تحـــرض النـــاس علي، إنك لا تقرأ في المســـجد إلا :﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ﴾ فقال أبو ذر : أتنهاني عن قراءة كتاب الله ؟ فو الله لأن أرضـــي الله بســـخط عثمان أحب إلى وخير لي من أن أسخط الله برضاه .

---

[11] ـ رواه الطبراني في الأوسط . الإمام الهيثمي في الزوائد ٩ / ٧٣ .

[12] ـ سورة التوبة : ٢٤ .

وفي يوم من الأيام اعتدي أبو ذر علي كعب الأحبار في مجلس عثمان ، لأن كعباً كان يفتي الخليفة بفتوي لم يتقبلها أبو ذر ، فقال عثمان :

ـ الحق بالشام كما كنت .

وذهب أبو ذر إلى الشام ، وكان معاوية بن أبي سفيان يحكمها من قبل الخليفة عثمان ، فوجد أبو ذر معاوية يبني قصوراً شاهقة ، فقال له أبو ذر : يا معاوية إن كان هذا من مالك فهو الإسراف ، وإن كان من مال المسلمين فتلك الخيانة العظمي ، وذهب إلى المسجد وأخذ يقرأ قول الله تعالي:

﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة . . ﴾ .

فلما رأي معاوية أن أبا ذر يعمل علي تحريض الناس ضد عثمان وضده ، فكر معاوية كيف يستريح من أبى ذر ؟، وكان معاوية داهية كبري ، فتقابل مع أبى ذر يوماً ، وقال له : يا أبا ذر ، إني ألححت علي الخليفة عثمان في فتح قبرص ، فأجبني فما رأيك ؟ فقال له أبو ذر : لقد دعينا للجهاد في سبيل الله ، فما علينا إلا تلبية النداء ، وبالفعل جهز معاوية الجنود وذهب الجيش وفتحت قبرص ، وبعد فتحها لم يعد بعد ذلك لأبى ذر حاجة هناك للبقاء ، ثم رجع أبو ذر إلى الشام واستمر في دعوته ، واشتد في مهاجمة الأغنياء ، وطالب بمساواة الفقراء بهم ، وتوزيع المال علي المسلمين

كما كان في عهد الرسول ، وأبى بكر ، وعمر ، فأرسل إليه معاوية عازمـــا علي القضاء علي تلك الفتنة الكبرى التي يتزعمها أبو ذر ، وقال له : يا أبـــا ذر ، هذا فراق بيني وبينك ، فقال له أبو ذر :

﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ﴾ ( التوبة : ٥١ )

وبالفعل أصاب أبا ذر بلاء شديد من بني أمية ، ولكنه لم يهتم بذلـك ولم يتزعزع ، ووقف علانية يخطب في الناس ضد معاوية ، متمسكا بقـــول الرسول له " **قل الحق ولو كان مرا** " فكان يقول للناس " إن بني أمية يهددوني بالفقر والقتل ، وللفقر أحب إلى من الغني ، ولبطن الأرض أحب إلـــى مـــن ظهرها ، يا معشر الأغنياء ، أنفقوا من مال الله علي عباده ، ولا تقولوا : يـــد الله مغلولة ، وبعث معاوية إلى الخليفة عثمان يخبره بأن أبا ذر يجمع عليـــه الجموع ، فرد عليه الخليفة بأن يرسل إليه أبا ذر ويرفق به ، ويكف النـــاس عنه فبعث به معاوية إلى المدينة تلبية لطلب الخليفة عثمان وفي المدينة استمر أبو ذر في دعوته ، فتضايق عثمان منه وسيره إلى " الربـــذة " وهـــي أرض صحراوية ، فعاش أبو ذر في ضيق هو وزوجته وغلاماه ، ولم يجد مؤنسا له إلا أن ينقطع لعبادة ربه ، وبعد مدة من الزمن أحس بالمرض ، فبكت زوجته لموته في الصحراء وحده ، فقال لزوجته، لا تبكي، فإني سمعت رســـول الله

ـ صلي الله عليه وسلم ـ يقول لنفر أنا فيهم : ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين (١٣).

وكلهم ماتوا إما في قرية أو في وسط جماعة وإني أنا الذي أموت بفلاة ، والله ما كذبت ولا كذبت فابصري الطريق ، فبينما هم كذلك إذ بعدد كثير من الرجال يمرون علي أبى ذر ، فلما علموا بأمره نزلوا حتى خرجت روحه إلى بارئها، فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه، ودفنوه ـ رحمه الله ـ ، وصدق رسول الله ـ صلي الله عليه وسلم ـ حيث قال لأبى ذر حين كان يوما يسير معه :

**(( يا أبا ذر : إنك رجل صالح وسيصيبك بلاء بعدي ))** فيسأله أبو ذر ، في الله ؟ ، فيجيبه الرسول ، **في الله** ، فيقول أبو ذر : مرحبا بأمر الله ( * )، وصدق الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ حيث قال عن أبي ذر :

**(( يرحم الله أبا ذر ، يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده ))**.

إن الإسلام يعتز بأبي ذر ، ذلك الرجل الزاهد الذي كان يقول الحق ولو كان مرا ، وكان لا يخشى في الله لومة لائم .

والذي خرج ـ رحمه الله ـ يوما قاصدا بيته فمر علي الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ ومعه جبريل في صورة دحية الكلبي ، فلم يسلم أبو ذر

---

(١٣) ـ مرفوع متصل.(*) حلية الأولياء ١/١٦٢، ذكره الحافظ في الإصابة ١١/١٢٢ ، حديث ضعيف سنده . سير أعلام النبلاء ٢ / ٥٧ .

عليهما غير متعمد، فقال جبريل ــ عليه السلام ــ للرسول ــ عليه السلام ــ هذا أبو ذر لو سلم لرددنا عليه ، فقال الرسول لجبريل : أتعرفه ؟ فقال لـــه : والذي بعثك بالحق نبيا لهو في ملكوت السماوات الســـبع أشـــهر منـــه فـــي الأرض.

كل ذلك لورعه وزهده في الحياة الفانية " إيثـــارا للحيـــاة الخـــالدة الباقية، هكذا يعتز الإسلام بأبي ذر وبأمثال أبي ذر ، الذيـــن آووا ونصـــروا ففازوا بالحسنى وزيادة ، وصدق قول القائل :

وبنور اليقيـــن شاهدت ربي

وبحسن التقي صفت أذهاني

إن تكلمت فالإ لـــه مرادي

أو تحدثـــت فالهـــدي لساني

أو تأدبت فاليقيـــن مجـــازي

أو تهيمـــت فالشهـــود جناني

وأمـــد اليـــد الذليلـــــة لله

بصـــدق وذلـــة وهـــــوان

# الإخلاص لله في العمل

من كمال الإيمان بالله وتمامه ، أن يكون المؤمن بربه علي درجة كبيرة من التقوى والإخلاص في كل العبادات ، لكي تكون العبـــادة خالصـــة لوجه الله ــ عز وجل ــ بعيدة عن وساوس النفس وتلاعب الشيطان المضل ، الذي قال الله تعالي عنه محذرا ابن آدم منه :

﴿ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ﴾

إن المؤمن لا يكون مخلصا حقا إلا إذا طهر قلبه من كل سوء ، لأن القلب هو الذي يعرف الله ، وبه يكون التقرب إلى الله .

وبنور الإيمان الذي يملأ القلب يعيش المؤمن في رحاب الله ، فالقلب هو المقبول عند الله إذا أخلص ، وترك كل ماعدا الله ســبحانه وتعـــالي ، إذا عرفه الإنسان فقد عرف ربه ، وإذا جهله الإنسان فقد جهل نفســـه ، وجـــهل المعرفة بالله سبحانه وتعالي .

ولذلك يقول المصطفي ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ :

**(( من كان له من قلبه واعظ ، كان عليه من الله حافظ ))**.

فطالما كان القلب مخلصا لله واتخذ الإنسان لنفسه طريقا يقيـــه مـــن العذاب ، وهو العمل بأوامر الله واجتناب نواهيه ، إنه عندئذ يشرح الله صدره

للإيمان ويقذف في قلبه نورا ولذلك يقول الرسول ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ:

ـــ اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالي . (ضعيف)

إن الإخلاص في العمل هو المطهر الوحيد للقلب من مرضـــه ، والله تعالي لا يقبل العمل إلا من المتقين ، وصدق سبحانه حيث قال :

﴿ إنما يتقبل الله من المتقين ﴾ ............ (المائدة: ٢٧)

فعلي كل إنسان يريد حياة سعيدة كريمة في الدنيا وفي الآخـــرة ، أن يخلص لله تمام الإخلاص في كل الأعمال ، ولذلك يقول الرســـول ـــ عليـــه الصلاة والسلام ـــ عن رب العزة جل شأنه :

(( الإخلاص سر من أسراري ، استودعته قلب من أحببت من عبادي ))

وقال عليه الصلاة والسلام :

**(( أول من يسأل يوم القيامة ثلاثا :**

**ـــ رجل آتاه الله العلم ، فيقول الله تعالي له ، ماذا صنعت فيمـــا علمـــت ؟ فيقول: يا رب كنت أقوم به آناء الليل وأطراف النهار ، فيقول الله تعالي لـــه : كذبت : ويقول الملائكة له : كذبت ، بل أردت أن يقال : فلان عـــالم ، ألا فقد قيل ذلك ، ورجل أتاه الله مالا ، فيقول الله تعالي له : لقد أنعمت عليـــك فماذا صنعت ؟ فيقول : يا رب كنت أتصدق به آناء الليل وأطراف النـــهار ، فيقول الله تعالي له : كذبت ، وتقول الملائكة له : كذبت ، بل أردت أن يقال**

**: فلان جواد، ألا فقد قيل ذلك . ورجل قتل في سبيل الله تعالي ، فيقـــول الله تعالي له: ماذا صنعت ؟ فيقول : يا رب أمرت بالجهاد فقاتلت حتى قتلــت ، فيقول الله تعالي له : كذبت ، وتقول الملائكة له : كذبت ، بل أردت أن يقال : فلان شجاع ، ألا فقد قيل ذلك ، قال أبو هريرة : ثم خط رسول الله علـــي فخذي وقال :**

**ــ يا أبا هريرة ، أولئك أول خلق تسعر نار جهنم بهم يوم القيامة ))** (مسلم)

وفي الإسرائيليات أن عابدا كان يعبد الله دهرا طويلا ، فجاءه قوم فقالوا لــه : إن هاهنا قوما يعبدون شجرة من دون الله تعالي ، فغضب لذلك وأخذ فأســـه علي عاتقه ، وقصد الشجرة ليقطعها ، فقابله إبليس في صورة شيخ وقال له : أين تريد يرحمك الله ؟، قال العابد : أريد أن أقطع هذه الشجرة ، قال : ومـــا أنت وذاك ؟ تركت عبادتك ، واشتغلت بنفسك ، وتفرغت لغير ذلك .

فقال العابد : إن هذا من عبادتي ، فقال إبليس للعـــابد : لا أتركــك لتقطع هذه الشجرة ، وتقاتلا ، وكانت النتيجة أن طرح العابد إبليـــس وقعــد علي صدره ، فقال له إبليس : اتركني حتى أكلمك ، فقام عنه العابد ، فقال له إبليس : يا هذا ، إن الله تعالي قد أسقط عنك هذا ولم يفرضه عليك وما تعبدها أنت ، وما عليك من غيرك ولله تعالي أنبياء في أقاليم الأرض ، ولـــو شـــاء لبعثهم إلى أهلها وأمرهم بقطعها ، فقال له العابد : لابد لي من قطعها فنـــابذه

إبليس للقتال ، فغلبه العابد وصرعه وقعد علي صدره ، فعجز إبليس عن منع العابد ، ولكن إبليس الملعون فكر في حيلة يفسد بها علي العابد عبادته ، فقال له إبليس : أنت رجل فقير لاشيء لك ، إنما أنت كل علي الناس يعولونك ، ولعلك أيها العابد تحب أن تتفضل علي إخوانك ، وتواسي جيرانك ، وتشبع وتستغني عن الناس، وبالفعل أثر كلام إبليس علي العابد، فقال له العابد: نعم، فقال له إبليس : ولترجع عن هذا الأمر ولك على أن أجعل عند رأسك في كل ليلة دينارين تأخذهما إذا أصبحت، فأنفقت علي نفسك وعيالك وتصدقت علي إخوانك ، فيكون ذلك أنفع لك وللمسلمين من قطع هذه الشجرة ، التي يمكن أن يغرس مكانها غيرها ولا يضر قطعها أحدا ، ولا ينفع إخوانك المؤمنين قطعك إياها ، ففكر العابد فيما قال ، وقال صدق الشيخ : ( يعني إبليس ) لست بنبي فيلزمني قطع هذه الشجرة، ولا أمرني الله أن أقطعها فأكون عاصيا إذا تركتها وما ذكره الشيخ (أي إبليس) أكثر منفعة لي ، فعاهده العابد علي الوفاء بذلك المبلغ الذي حدده، وأجابه إبليس وحلف له ألا ينساه ، فرجع العابد إلى معبده ، فبات فلما أصبح وجد دينارين عند رأسه ، فأخذهما وكذلك الغد ، ثم أصبح اليوم الثالث وما بعده ، فلم ير العابد شيئا تحت رأسه ، فغضب وأخذ فأسه علي كتفه ، فاستقبله إبليس في صورة الشيخ ، فقال له : إلى أين أيها العابد ؟ فقال له العابد : أريد أن أقطع تلك الشجرة ، فقال له إبليس : كذبت ، والله ما

أنت بقادر علي ذلك ، ولا سبيل لك إليها ، فغضب العابد وأمسك بـــه ليفعـــل معه ما فعله أول مرة ، فضحك إبليس وأخذ بالعــــابد وصرعـــه فـــإذا هـــو كالعصفور بين رجليه ، وقعد إبليس علي صدره .

ثم قال له إبليس : لتنتهين عن هذا الأمر أو لأذبحنك ، فنظر العابد إلى إبليس وقال له : يا هذا غلبتني فخل عنـــي ، وأخـــبرني كيـــف غلبتـــك أولا وغلبتني الآن ؟، فقال له إبليس :غلبتني أنت أولا لأنك غضبت أول مـــرة لله ، وكانت نيتك الآخرة ، فسخرني الله لك ، وهذه المرة غضبت لنفسك وللدنيــــا فصرعتك وانتصرت عليك .

لذلك أخلص صحابة الرسول ــ صلي الله عليه وسلم ــ، حتى كشف الله لهم كل ما هو خفي علي غيرهم ، ومن ذلك ما قيل من أن أبا بكر رضي الله عنه قال لعائشة ــ رضي الله عنها ــ عند موته :

ــ إنما هما أخواك وأختاك .

وكانت زوجته حاملا فولدت بنتا ، فكان قد عرف قبل الولادة أنـــها بنت بنور الله ، وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال أثناء خطبة له :

ــ يا سارية الجبل الجبل .

قال هذه العبارة لسارية قائد الجيش الإسلامي محذرا وموجها لــــه ، حيث إن جيش العدو كان قد اقترب وأصبح وراء الجبل ، وقد وصل صـــوت

عمر إلى القائد ، وتلك كرامة للفاروق ، ومن الكرامة ما رآه بنور الله من قرب العدو من جيش المسلمين ، وهكذا نجد أن الله يكرم أحبابه بكرامات ترفع من شأنهم ، والله سبحانه وتعالي قادر علي كل شيء ، وهو المتصرف في ملكه ، وكل ما يحدث في الكون فبمشيئته ، و" ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن " ولن تستطيع المخلوقات كلها علي فعل شيء مما تحدثه القدرة الإلهية ، لأن الله تعالي متصف بقدرة لا حدود لها ، ولا تقف في طريقها حواجز ولا سدود ، ولو اجتمع الإنس والجن والملائكة علي أن يحركوا في العالم ذرة أو يسكنوها دون إرادته سبحانه لعجزوا ، وقد قال علي ــ كرم الله وجهه ــ في وصيته لولده : يا بني إنه لو كان لربك شريك لأتتك رسله ، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه ، ولعرفت أفعاله وصفاته ، ولكنه إله واحد لا يضاده في ملكه أحد .

إن الله تبارك وتعالي واحد في ذاته وصفاته وأفعاله ، وليس له شريك ولا مثل له ، وكل ماخلا الله باطل ، وكل نعيم في دنيانا زائل وقد قال لبيد بن ربيعة

ألا كل شيء ماخلا الله باطل

وكل نعيم لا محالة زائل

وكل ابن أنثي لو تطاول عمره

إلى الغاية القصوي فللقبر آيل

وتلك عظات صدرت من صحابة رسول الله ــ صلي الله عليه وسلم ــ،

ومنها عن أنس بن مالك ــ رضي الله عنه ــ قال :

ــ دخلت علي عثمان ــ رضي الله عنه ــ، وكنت قد لقيت امرأة في طريقي ، فنظرت إليها شذرا وتأملت محاسنها ، فقال عثمان ــ رضي الله عنه ــ لما دخل عليه يدخل علي أحدكم وأثر الزنا علي عينيه ، لتتوبن أو لأعذرنك ، فقلت : ــ أوحي بعد النبي. فقال عثمان: لا ولكن بصيرة وبرهان ، وفراسة صادقة. وقال أبو سعيد الخراز : رأيت في الحرم رجلا فقيرا ليس عليه إلا ما يستر عورته ، فأنفت نفسي منه ، فتفرس في ، وقال :

﴿ واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه ﴾ ( البقرة : ٢٣٥ )

فندمت علي ذلك ، واستغفرت في نفسي ، فقال :

﴿ وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ﴾ ( الشورى : ٢٥ )

وقد جاء في الأثر أن الله تعالي يقول :

(( أيما عبد اطلعت علي قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه )).

فعلي كل إنسان يرغب في القرب من ربه ، أن يجاهد نفسه كل المجاهدة ، وذلك بأن يعودها علي جميع العادات الحسنة ، ويواظب عليها

مواظبة المحب المشتاق إلى الأفعال الجميلة المحمودة ، وأن يبتعد عن الأفعال القبيحة ، فإن كان جاهلا تعلم ، ليكون عنده وعي وإدراك حتى يعرف النـــور فيسلك طريقه ، ويستبين الطريق الواضح من المعـــــوج ، وإن كـــان شـــديد الغضب فليزين أخلاقه بالحلم ، وقد حكي عن بعض السابقين : أن رجلا كـــان يعود نفسه الحلم ، ويزيل عن نفسه شدة الغضب ، وذلك بأن يســـــتأجر مـــن يشتمه علي ملأ من الناس ، ويكلف نفسه الصبر وكظم الغيظ حتى صار الحلم عادة له وسجية ، وكان يضرب به المثل في هذا الميدان .

إن الإخلاص هو النتيجة الرائعة لحسن الخلق ، ومعالجة النفس مـــن جميع أمراضها ، وقد مدح الله الرسول ــ عليه الصلاة والســـلام ــ لحســـن خلقه ، حيث قال جل شأنه :﴿ وإنك لعلي خلق عظيم ﴾ ( نون : ٤ ) ، وقـــد ورد عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه قوله :

**(( ما حسن الله خلق عبد وخلقه إلا استحيا أن يطعم لحمه النار )).**

فعلي من يريد أن يصل إلى درجة المخلصين المؤمنيـــن أن يـــهذب أخلاق نفسه ، وأفضل الناس إيمانا أحسنهم خلقا . وكما قلنا : بأن الأخـــــلاق الحسنة قد تكون بالاعتياد والمواظبة : فهي كذلك تكتسب من مخاطبة الجليس الصالح ، ولن يأتي عن طريقه إلا الخير ، فهذه المجالســـة الخـــيرة تكســـب

الخلال الحميدة ، والسجايا الفاضلة ، وشتان بين جليس الخير وجليس السوء ، إذ إن جليس الشر يضر ، ولن يأتي من جانبه سوي الشر وهو إنســـان غــير سوي في خلقه ، وهو يُعدي كما يعدي الأجرب غيره من الأصحـــاء ، ولـــذا يجب علي الإنسان ألا يخالط من اعوجوا في مسيرة حياتهم ، وانحرفوا فـــي دنياهم ، وعاشوا مع الرذائل ، وتحالفوا مع الشيطان اللعين .

ثم إن العزلة أفضل وأعظم من مجالسة أهل السوء ، وفي هذا الشـــأن ورد أن عمر بن الخطاب ـــ رضي الله عنه ـــ دخل المسجد في يوم من الأيام فوجد أبا ذر الغفاري جالسا وحده ، فقال له عمر : لم تجلس وحدك ؟ فقال له أبو ذر: الصاحب الصالح خير من الوحدة ، والوحدة خير من صاحب السوء، ومجلس الخير خير من مجلس الشر .

وما قاله أبو ذر يعتبر في القمة من الحكمة .

إننا نري أسرا عريقة تتحلى بالأخلاق العالية والقيم الرفيعـــة ، ولكــن للأسف نجد بعض أبناء هذه الأسر ، قد خرجوا عن هذا الإطـــار الأخلاقـي حيث تأثروا ببعض المنحرفين من الشباب ، بسبب الاختلاط بهم ، ووصـــول العدوي إليهم منهم ، ولذلك يجب إبعاد الأبناء عن أهل الســـوء ، والحيلولـــة بينهم وبين قرناء الشياطين ، والرسول عليه الصلاة والسلام حذر من مصادقة الأشرار ، وأرشد إلى حسن اختيار الأصدقاء حيث قال موجها ومرشدا:

**((المرء علي دين خليله ــ أي علي طريقته ومبادئه ــ فلينظر أحدكم مــن يخالل))** ( صحيح )

وهو عليه السلام كان يتحلي بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم ، والسيدة عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت عن خلقه : " كان خلقه القران " .

إن الأخلاق السيئة سموم مهلكة ، وهي الأبواب المفتوحة إلى نار الله الموقدة ، ومما يدل علي ذلك أنه قيل لرسول الله ــ صلي الله عليه وسلم ــ:

ــ إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل ، ولكنها تؤذي جيرانها بلسانها .

فقال النبي عليه السلام: **لا خير فيها هي من أهل النار**.(رواه أحمد في مسنده ٢/٤٤ )

وقال عليه السلام : **إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وإنه لضعيف في العبادة .** ( الطبراني )

والقرآن الكريم بين لنا بأن الخوف من الله ونهي النفس عن الــهوى طريق الرضا الإلهي والسبيل إلى الجنة ، قال تعالي :﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فإن الجنة هي المأوى﴾ ( النازعات : ٤٠ : ٤١)

وهذا هو لقمان الحكيم يقول : ثلاث من كن فيه استكمل الإيمــان : مــن إذا رضى لا يخرجه رضاه إلى الباطل ، وإذا غضب لا يخرجه غضبــه عــن الحق، وإذا قدر لا يتناول ما ليس له .

فعلي الإنسان أن يعرف عيوبه ويتخلص منـــها ، وأن ينقـــذ نفســـه ويتوب إلى ربه ، وأن يستعين بأصدقائه الأخيار ليدلوه علي الخير ويبذلوا لـــه النصح ، وصدق الشاعر حيث قال :

بعشرتك الكرام تعد منهم

فلا ترين لغيرهم ألوفا

ثم إن الإنسان قد يستفيد من أعدائه ، وذلك إذا حكم عقله ، ووضـــع في ذهنه أنهم يعملون علي تحطيمه ، ولكي يحقق الاســـتفادة مـــن الأعـــداء لصالحه ، فعليه أن يتخلص من العيوب التي يتخذها الأعـــداء وســـيلة إلـــى التشهير به والحط من شأنه ، وهذا هو شاعر يبين لنا تلك الحقيقة في قولـــه :

عداي لهم فضـــل علي ومنـــة

فلا أذهب الرحمن عني الأعاديا

همو بحثوا عن زلتي فاجتنبتها

وهمو نافسوني فاكتسبت المعاليا

إن الإنسان إذا أخرج ما بنفسه من نقائص ، وعالج عللها بصـــدق ، ووصلها بالله تعالي ، فإنه يعيش آمنا هادئا مطمئنا ، وينال الخير من ربه دنيا وآخرة ، وصدق رب العزة حيث قال : ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ، ارجعي إلى ربك راضية مرضية ، فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ﴾ ( الفجر : ٢٧ـ٣٠ )

هذا هو تمام الإيمان وكما له ، الذي هو أعلـــي مراتــب الإخــلاص ، والسلف الصالح ــ رضوان الله عليهم ــ، أخلصوا لله في العمل ، حتى بلغوا أعلي الدرجات في الخوف من الله ، مع ما كانوا يعملون من أعمال خالصـــة لوجه الله ــ سبحانه وتعالي ــ ، وهذا هو عمران بن حصين ــ رضـــي الله عنه ــ يقول :

( وددت أن أكون رمادا تنسفني الرياح في يوم عاصف ).

وهذا هو أبو بكر ــ رضي الله عنه ــ يقول لطائر :

( ليتني مثلك يا طائر ، ولم اخلق بشرا ).

ودخل يزيد الرقاشي علي عمر بن عبد العزيز فقال له عمر :

ــ عظني يا يزيد، فقال : يا أمير المؤمنين ، ليس بينك وبين الجنـــة والنـــار منزل ، فخر مغشيا عليه . وهكذا كان السلف الصالح تمتلئ قلوبـــهم خوفـــا وخشية من الله ، وأخلصوا كل الإخلاص في عبادتهم لله ، وابتعدوا عن الدنيـا التي تلهي عن الله ، والدنيا في نظرهم رأس كل خطيئة ، وما أحســن قــول الشاعر ، الذي صاغ لنا تلك الدرر ، التي توقظ القلوب ، وتسمو بــالأرواح ، وهاك هي:

الله قل وذر الوجــود وما حــوي ... مــتأدبا في ساحــة الإجلال

سلــم لتسـلم مــن حياتـــك إنه ... من أسلم التقوي سما بظلال

واجعل لنفسك من قضا الله الرضا ... حتى تكــون موفق الأعمال

إن هذه الأبيات تحمل العظة لمن أراد أن يتعظ ، وهي توجه الغـافل إلى طريق اليقظة ، ولقد كان المؤمنون السابقون يعيشون فـي جـو اليقظـة الروحية ، ويحيون في إطار العقيدة البناءة ، العقيدة الإيمانية المثمرة ، وكانوا يؤدون واجبهم مع ربهم ومع غيره بأمانة وصدق وإخلاص وخشـية ، لكـي يرضي عنهم الله ، ولكي يجنوا في الآخرة أعظم الثمـار ، وهـم مـع أداء الواجب الديني والدنيوي لا يأخذ الغرور منهم مأخذه ، وإنما هم بعيدون كـل البعد عنه ، لعلمهم بأنه آفة تتعارض مع الإيمان ، إنهم نماذج مضيئة علـي الطريق ، وهم مثل عليا في حسن المسيرة ، ومسيرتهم هذه ليست ناشئة مـن فراغ ، وإنما اقتبسوها من الرسول العظيم محمد ـ صلي الله عليه وسـلم ـ، ذلك الذي كان قرآنا يمشي علي الأرض ، والذي هو الرحمة من الله :

﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ ( الأنبياء : ١٠٧ )

إنه ـ عليه السلام ـ القدوة الحسنة لاتباعه ، وهو الذي يحمل القلب التقي النقي المشرق ، البعيد عن الفظاظة ، النائي عـن الغلظـة ، المتحلـي بأسمي الفضائل الإنسانية ، وهذا موقف له ـ عليه السلام ـ يدل علي سـمو أخلاقه ، ويتمثل ذلك في أن رجلا جيء به إلى رسـول الله ـ صلـوات الله وسلامه عليه ـ، وكان هذا الرجل شرب خمرا ، ولمـا أبصـره أصحـاب الرسول ، قالوا : لعنه الله، ما أكثر ما يؤتي به شاربا ، فصاح فيهم الرسـول وقال لهم : لا تلعنوه ، فإنه يحب الله ورسوله.

( حديث صحيح رواه البخاري ( ١٢ / ٧٧ ) رقم ٦٧٨٠ )

إنه ــ عليه السلام ــ بين لهم أنه لا يستحق اللعنة لأنه يحــب الله ورسوله، وإذا فمن غير اللائق أن يلعن مؤمن مؤمنا ، وهذا الأســلوب قــد يترتب عليه خروج الملعون من دائرة الإيمان كلها ، ويعيــش بكليتــه مــع الشيطان ، ويقترف كل الموبقات ، ويكون عدوا للإسلام والمسلمين ، وشــرا بالنسبة لنفسه ولغيره .

إن الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ الذي أدبه خالقــه ، والــذي تحلي بمكارم الأخلاق ، يريد أن يكون المسلمون قمة في أخلاقهم وسـلوكهم ، ولا يستعملوا الأساليب التي تأتي بنتائج ضارة ، وما أفضل الحلم في معالجــة الأمور ، وما أحسن الموعظة الحسنة البعيدة عن القسوة والغلظة ، وما أسـوأ الغضب والغرور وفظاظة القلوب ، وهذا هو رجل من بني إسرائيل لكــثرة فساده ، مر علي رجل صالح يقال له : عابد بني إسرائيل ، وكان علــي رأس هذا العابد غمامة تظله ، فلما مر الخليع به قال هذا الخليع في نفسه : أنا خليع بني إسرائيل ، وهذا عابد بني إسرائيل ، فلو جلست إليه لعل الله يرحمنــي ، فجلس إليه ، فقال العابد في نفسه : أنا عابد بني إسرائيل ، وهذا خليــع بنــي إسرائيل ، فكيف يجلس إلى ؟ وأنف منه ، وقال له : قم واذهب بعيدا عنــي ، وعندئذ أوحى الله إلى نبي ذلك الزمان ، بأنه غفر للخليع وأحبط عمل العابد . وإذا ليكن الإنسان بعيدا عن الغرور ، وأن يعلم أن الله يغير ولا يتغير ، وأنــه

قادر علي هداية من أراد له الهداية ، وهو سبحانه قد فتح باب التوبة علي مصراعيها . وعلي الإنسان كذلك أن يكون صافي العقل ، وسعادة الإنسان مبنية علي حسن استخدام نعمة العقل ، ولاشك أن الناس يتفاوتون في عقولهم، وقد قيل عن رسول الله ــ صلي الله عليه وسلم ــ:

**(( تبارك الذي قسم العقل بين عباده أشتاتا ، إن الرجلين ليستوي عملهما وبرهما وصومهما وصلاتهما ، ولكنهما يختلفان في العقل ))**

(أخرجه الترمذي في "نوادر الأصول" قاله الحافظ الراقي في تخريج الإحياء (٣/ ٤٣٢) )

وعلي الإنسان أن يعرف حق المعرفة أنه غريب في دنياه ، ويتذكر جيدا قول الرسول ــ عليه السلام ــ:

(( كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل )) ( البخاري ).

وليكن كذلك متحليا بالإخلاص لأن الإخلاص هو مفتاح قبول الأعمال ، وبغير الإخلاص في العمل لا يكون القبول من الله تعالي ، وقد كان بعض السلف الصالح يقول :

ــ يا نفسي أخلصي تتخلصي . وقال بعضهم :

ــ إذا أبغض الله عبدا أعطاه ثلاثا ومنعه ثلاثا : أعطاه حب الصالحين ومنعه القبول منهم ، وأعطاه الأعمال الصالحة ومنعه الإخلاص فيها ، ومنحه الحكمة ومنعه الصدق فيها ، فالله تعالي يريدنا أن نطيعه ونخلص له في

الطاعة ، لأن الطاعة واجبة علينا ، والإخلاص فيها هو روحها وسر قبولها ، ثم إن الإنسان إذا زلت قدمه وارتكب شيئا يغضب ربه ، فليسرع إلى التوبة النصوح ، وألا ييأس ، لأن الله تعالي يقبل التوبة ، ولا يأس من قبولها ، فالله غفور رحيم . وهذا هو رسول الله ــ صلي الله عليه وسلم ــ يقول :

**(( والذي نفس محمد بيده ، لو لم تذنبوا وتستغفروا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم .))** ( مسلم )

والرسول بهذا القول النبوي يبث في نفوسنا الأمل في رحمة الله ، ويدعونا إلى حسن الظن برب العباد ، ولهذا فهو يوصينا بقوله :

**(( لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله. ))** ( مسلم )

ويقول الله تعالي في الحديث القدسي :

**(( أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا دعاني . ))** ( البخاري ومسلم )

ويقول الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ :

**(( إن حسن الظن بالله تعالي من حسن العبادة . ))** ( رواه أبو داود ، وأحمد )

وفي كل هذه الأحاديث يربط الرسول ــ عليه السلام ــ العلاقة القوية بين المؤمن وربه ، ويبنيها علي الأمل وعدم اليأس ، ويقول الرسول ــ عليه السلام ــ مطمئنا المؤمنين الذين يتعثرون في مسيرة حياتهم :

**(( ما من يوم تطلع شمسه إلا وتقول السماء ، يارب ، ائذن لي أن أسقط كسفا علي ابن آدم ، فقد طعم خيرك ، ومنع شكرك ، وتقول الأرض : يا رب، ائذن لي أن ابتلع ابن آدم ، فقد أكل خيرك ، ومنع شكرك ، وتقول الجبال : يا رب ، ائذن لي أن أطبق علي ابن آدم ، فقد أكل خيرك ، ومنع شكرك ، فيقول الله لهم جميعا ، لوخلقتموهم لرحمتموهم ، دعوني وعبادي، إن تابوا إلى فأنا حبيبهم ، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم . ))**

( مسلم )

فالله — عز وجل — يريد من المذنبين أن يعرفوه ويرجعوا إليه ، فهو سبحانه طبيب كل عاص ضال عن الطريق المستقيم ، وحبيب كل تائب ، ولذلك يقول الرسول — عليه الصلاة والسلام — عن ربه :

— يقول الله — عز وجل — : **(( من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أو أزيد ، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر ، ومن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا ، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة ، ومن لقيني بتراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة . ))** ( مسلم )

فالحديث يبين لنا أن باب التوبة مفتوح ، ولا يبعد الإنسان عن ربه إلا الإعراض عن الله ، والتسويف في التوبة ، والتمادي والغفلة ، وظلم الإنسان

علي ربه نادما مستغفرا ، عازما علي حسن المسيرة في حياته ، ومن المعلوم أن الموت قد يأتي الإنسان بغتة ، دون سابق إنذار من المرض ، والمـوت لا يحتاج إلى المرض ، والآجال محددة مقدرة ، وصدق رب العزة حيث قال :

﴿ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ ( يونس : ٤٩ )

إن الله تبارك وتعالي قدم مغفرته ورحمته ، وقبول التوبة علـي شـدة عقابه وقسوة انتقامه، وصدق سبحانه حيث قال : ﴿ غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول، لا إله إلا هو إليه المصير﴾ ( سورة غافر : ١ ــ ٣ )

وهكذا نجد رحمة الله تتجلى ، وفضله العظيم يسبق غضبـه ، وكرمـه الكبير يمتد ظله ، ويتجلى أيضا الكرم الإلهي فيما جاء في سورة الفرقـان ، وذلك في الآيات التالية ، حيث قال جل شأنه فيها :

﴿ والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون، ومن يفعل ذلك يلق آثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا، إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا، فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات، وكان الله غفورا رحيما، ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلي الله متابا ﴾ (الفرقان:٦٨ــ٧١)

إنها رحمة الله بخلقه ، وإنه الحلم الإلهي ، والكرم الرباني لأولئك الذين يرجعون إلى ربهم ، ويراجعون مسيرة حياتهم ، ويثوبون إلى رشدهم ، ويخلصون أنفسهم من وحل الذنوب بالتوبة النصوح ، والندم علي ما حدث منهم من خطايا . إن أمثال هؤلاء الذين يطهرون أنفسهم بماء التوبة ، يرضي الله عنهم ويغفر لهم زلتهم ، ويجعلهم أهلا لجنته ورحمته ومحبته . إن الذنوب مهلكة ، وإن التمادي فيها يقود إلى نار جهنم ، وهي تمثل الجبل الذي ينهار علي رءوس المذنبين ، يدل علي ذلك ما جاء عن الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ :

**(إن المؤمن يري ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه)** ( رواه أحمد )

فهنيئا لمن يخشي ربه ويسرع إلى التوبة ، ويحاسب نفسه في دنياه ، ويعيش في دائرة الإيمان ، ويؤدي واجبه أكمل ما يكون الأداء ، مع صفاء القلب ، وطهارة النفس ونقاء الروح ، وما أحسن هذا الشعر الذي يحيي القلوب :

| | |
|---|---|
| سارع إلى الله معتزا برحمته | فالكل عبد ورب الكل معبود |
| وكل شئ له معني تمجده | وليس في غير معني الذكر تمجيد |
| أموت إذا ذكرتك ثم أحيا | ولولا حسن ظني ما حييت |
| فأحيا بالمني وأموت شوقا | فكم أحيا عليك وكم أموت |

إن الإخلاص في العبادة لله من أوجب الواجبات والشيطان يحاول بشتى الوسائل أن يفسد العبادة وأن يلبسها ثوب الرياء ، فليحذر الإنسان هذا العدو اللعين ، وليكن ذا يقظة تامة حتى يبعده عنه ، ولقد جاء القرآن الكريم بما يجعلنا في حذر من وساوسه وألاعيبه ، وبين لنا أنه يتبرأ من الإنسان ويلقي المسئولية عليه ، وذلك في قول الله تعالي :

﴿ وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم ، وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ، ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى ، إني كفرت بما أشركتمون من قبل ، إن الظالمين لهم عذاب اليم ﴾ ( سورة إبراهيم: ٢٢ )

وهذا عبد الله بن مسعود ــ رضي الله عنه ــ يقول : خط رسول الله صلي الله عليه وسلم خطاً وقال : هذه سبيل الله ، ثم خط خطوطاً عن يمين الخط وعن شماله ، ثم قال : هذه سبل ، علي كل سبيل منها له شيطان يدعو إليه ، ثم تلا قول الله تعالي :

﴿ وإن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ ( سورة الأنعام : ١٥٣ )

فهذه السبل التي بينها القرآن الكريم وذكرها الرسول عليه السلام هي طرق الشيطان ، وقد قيل للحسن : يا أبا سعيد ، أينام الشيطان ؟ فتبسم وقال : لو نام لا سترحنا ، ويقول أبو هريرة ــ رضي الله عنه ــ :

(( التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر ، فإذا بشيطان الكافر سمين كاس ، وشيطان المؤمن مهزول أشعث أغبر عار ، فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن : مالك مهزول ؟ فقال له : أنا مع رجل إذا أكل سمي الله فأظل جائعاً، وإذا شرب سمي الله فأظل عطشاناً ، وإذا لبس سمي الله فأظل عرياناً ، وإذا أدهن سمي الله فأظل شعثاً ، فقال له شيطان الكافر : لكني مع رجل لا يفعل شيئاً من ذلك ، فأنا أشاركه في طعامه وشرابه ولباسه .

وقيل لإبراهيم بن أدهم ــ رضي الله عنه ــ :

ــ ما بالنا ندعوا فلا يستجاب لنا ؟ وقد قال الله تعالي :

﴿ ادعوني أستجب لكم ﴾ ( سورة غافر ــ ٦٠ )

قال : لأن قلوبكم ميتة ، قيل : وما الذي أماتها ؟ قال : ثماني خصال :

ـ عرفتهم الله ولم تقوموا بحقه ، وقرأتم القرآن ولم تعملوا به ، وقلتم نحـــب رسول الله ولم تعملوا بسنته ، وقلتم نخشي الموت ولم تستعدوا له ، وقـــال الله تعالي :

﴿ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ﴾ ( سورة فاطر : ٦ )

فوطأتموه علي المعاصي ، وقلتم نخاف النار وأرهقتم أبدانكم فيـــها ، وقلتـــم نحب الجنة ولم تعملوا لها ، وإذا قمتم مـــن فراشـــكم رميتـــم عيوبكـــم وراء ظهوركم وافترشتم عيوب الناس أمامكم فأسخطتم ربكم ، فكيف يستجاب لكم ؟ فالشيطان يعمل علي افتراس ابن آدم ، ويمارس وظيفته بمختلف الصـــــور ، وهو أكبر عدو للإنسان ، ولذا يجب علي الإنسان أن يفطن إلي ذلـــــك ، وأن يحارب هذا العدو بعزيمة قوية وإرادة حديدية ، وبهذا ينتصر علي هذا العــدو الشرس ، وقد ورد أن إبليس ركب سفينة نوح عليه السلام ، فطلب منـــــه أن يرحل عنها ، فقال له : ارحل عنها بعد أن أقول لك ، إنـــــي أهلـك النـــاس بالحرص والحسد ، وأخبره بأنه بالحسد لعنه الله وجعله شيطانا رجيما ، وأمـــا الحرص فإنه أبيح لآدم الجنة كلها إلا الشجرة وأنه بحرص آدم أصاب حاجتـه منه ومن أسلحة الشيطان شبع الإنسان من الطعام والإفراط فيه وما كان حلالا وكذلك الطمع والعجلة والبخل وغير ذلك من الرذائل التي تســـهل للشـيطان الوصول إلي الإنسان ويؤثر فيه ومن هنا وجب علي الإنسان أن يتخلص مـــن

كل الرذائل التي هي مداخل للشيطان، وأن ينأى بنفسه عن الوقوع في شراكه، وذلك بمجالسة العلماء والصلحاء ، وبهذا يكمل إيمانه وليكون من جملة الذين ذكرهم الرسول عليه السلام في حديثه الشريف :

(( إن أقرب الناس من الله عز وجل يوم القيامة ، الأصفياء الأتقياء ، الذين إن شوهدوا في الدنيا لم يعرفوا ، وإن غابوا لم يفتقدوا ، تعرفهم بقاع الأرض ، وتحف بهم ملائكة السماء ، نعم الناس بالدنيا ونعموا بطاعة الله عز وجل ، افترش الناس الفرش الوثيرة ، وافترشوا الجباه والركب ، ضيع الناس فعل النبيين وأخلاقهم وهم حفظوها تبكي الأرض إذا فقدتهم ، ويسخط الجبار علي كل بلد ليس فيها منهم أحد ، لم يتكالبوا علي الدنيا تكالب الكلاب علي الجيف، يا أسامة : إذا رأيتهم في بلدة ، فاعلم أنهم أمان لأهل تلك البلدة ولا يعذب الله قوما هم فيهم ، الأرض بهم فرحة ، والجبار عنهم راض ، اتخذهم لنفسك إخوانا عسي أن تنجو بهم . ))

فعلي كل مؤمن ألا يلجأ في شيء من أموره إلا لله الواحد القهار ، وأن يكون عمله موافقا لقوله ، وأن يتحلى بالإخلاص لله ، لأن الإخلاص يطهر القلوب ، ويقرب الإنسان إلي الله علام الغيوب وتلك أبيات شعرية فيها تذكير للإنسان بربه ، وتوجيه له في حياته ، وإرشاد وتربية روحية ، وتلك هي الأبيات :

يا مريداً للنفس معنـــي علاهـــا | احفظ النفس بالتقي من أذاهـــا
واقصـــد الله وحده وتواضـــع | إن فضل الإله لا يتنـــــــاهى
وســـل الله ما تشـــاء بعــــزم | واجعــل الله حيث كنت الجاهـــا
إذا اعتذر الصديق إليك يومـــاً | تجــاوز عن مساويه الكثيـــرة
فإن الشافعـــي روي حديثـــا | بإسنـــاد صحيـــح عـــن مغــيرة
عن المختـــار إن الله يمحـــو | بعــذر واحــد ألفـــي كبـــيرة